١٢.٣

حوار كوني

٣ أعداد في السنة بلغات مختلفة

حديثٌ في علم الاجتماع
مع مع ميشال فورد
ديميتري لاورنس لاروشال

مايكل بوراووي
السوسيولوجيا العمومية
سفيتلانا ياروشينكو
إلينا زدرافوميسلوفا
ساري حنفي
مارغريت أبراهام

حوارات
تقاطعية
كاثي دايفيس
هيلما لوتز
آن فونيكس
باربارا دجيوفانا بالا
إيثال تانغوهان
آموند رايك

آفاق نظرية
كويتشي هازغاوا

آفاق
حول أوكرانيا
ناتاليا شارنيش
يوري باشكوفسكس
داري كريستيا

قسم مفتوح

› لماذا الحاجة إلى بيانات تقاطعية مقارنة حول مجتمع الميم؟
› من يمتلك المعرفة؟ الاعتراف والتثمين والاجحاف المعرفي.
› الهيئات المربحة والحراك في مجال الرعاية في أوروبّا الوسطى والشرقية.
› العمالة المنزلية بالوساطة: السوق السريلانكية السعودية.

النشرة الأخبارية

International Sociological Association

العدد ٣ من السلسلة ١٢ - ديسمبر ٢٠٢٢
https://globaldialogue.isa-sociology.org/

GD

تصميم ربيع محمصاني

> الافتتاحية

يعرض قسم «حديث في علم الاجتماع» في هذا العدد مقابلة أجرتها ديميترا لورانس لاروشيل مع العالمة الأكثر شهرة ميشيل فورد التي تقدّم نظرة ثاقبة حول أنشطتها الاستشارية لمنظمة العمل الدولية (ILO) وتعرض تأمّلاتها بشأن التحدّيات التي تواجه الباحثين الاجتماعيين، وكذلك العقبات الحائلة دون النضال من أجل حقوق العمال.

تشير أولى ندواتنا إلى مجموعة أعمال مايكل بوراووي المبدعة والأكثر إثارة للإعجاب والأكثر إلهامًا بصفته الرئيس السابق للجمعية الدوليّة لعلم الاجتماع (ISA) ومؤسّس نشرة حوار كوني، حيث استهلّها وأثر في مناقشات واسعة حول علم الاجتماع العمومي والعالمي. يجيل ساري حنفي، الرئيس الحالي للجمعية الدولية لعلم الاجتماع، ومارغريت أبراهام، الرئيسة السابقة للجمعية، وسفيتلانا ياروشينكو، وإيلينا زدرافوميسلوفا التفكير في تجربة تعاونهم مع بوراووي ويتباحثون في كتابه الأخير علم الاجتماع العمومي: اليوتوبيا ومناهضة اليوتوبيا، كما يلقون الضوء على علم الاجتماع العمومي من منظورات مختلفة.

أمّا الندوة الثانية التي نظمتها الخبيرتان البارزان كاثي ديفيس وهيلما لوتز فتبرز كيفية وضع النظرية المتنقّلة الجوّالة (travelling theory) ومفهوم التقاطعية وكيف يتمّ إعادة العمل بها ونشرها وتوزيعها في سياقات مختلفة. يوفّر هذا التوليف من المقالات نظرة عامة حول الطرق التي كان للتقاطعية فيها أثر بالغ مستعرضا كيفية تفكير العلماء والنشطاء في مسألة التفاوتات، والسلطة، والتغير الاجتماعي محليًا وعالميًا. كما تتناول آن فونيكس، وبربرا جيوفاني بالو، وايتال تانغوهان، وأدموند رليك هافورت في هذا السياق بالدرس مجموعة واسعة من الموضوعات.

ينطوي القسم النظري في هذا العدد تفكير كويتشي هازيغازا في حركة أيام الجمعة من أجل المستقبل من منظور الحركات الاجتماعية مركّزا على التأطير الثقافي وتعبئة الموارد وبنية الفرص السياسية مع دراسته لسبب تحقيق تلك الحملات للنجاح الباهر وسبب تعثر المشاركة في الحركة في اليابان والمتدنيّة مقارنة بحجم الانخراط فيها في بلدان أخرى.

أمّا البلد موضع تركيزنا فقد تمّت صياغته في مواجهة الحرب العدوانية ضد أوكرانيا كما شهدناها في صيف ٢٠٢٢. واستنادا إلى المناقشات الاجتماعية الدائرة حول مسألة العولمة، تبحث ناتاليا تشيرنيش في دور علم الاجتماع في مرحلة ما بعد العولمة فيما يتعلق بهذه الحرب. ويتعامل يوري باتشكوفسكي مع التجربة الملموسة للغزو والصدمة الجماعية والعواقب المترتبة على الحرب. أمّا داري كريستيا فتتساءل عن مكانة علم الاجتماع في مواجهة «معضلة أمنية» وصعود الحركات والأحزاب المناهضة للنظام.

يستجلي كلّ من سايت باركاردار، وأندرو كينج ويانا بايسفيك، في «قسم مفتوح» من العدد الحساسية اللازمة للتنوع والتقاطعية في الأعمال العلمية والدراسات المعتمدة والدراسات الاستقصائية والمسائل المعرفية بينما تتناول بتراء عز الدين وكريستين كراوس و واسانا هانداباغودا بالبحث الأشكال المختلفة للسَّوْقنة المعاصرة عبر وطنية للرعاية.

كنّا قد شرعنا قبل خمس سنوات رئاسة تحرير نشرية «حوار كوني» مُدركين شرف تلك المهمّة التي كانت بمثابة ثوب التحدّي لخلافة مؤسّسها ورئيس تحريرها السابق مايكل بوراووي. والآن وقد أوشكت مدّة رئاسة التحرير على نهايتها فإن على قرّاء حوار كوني الحكم على العمل المنجز طيلة تلك السنوات. نحن نعبّر عن امتناننا سويًا مع محررينا المساعدين رافائيل ديندل وجونا جروبنر ووليد إبراهيم وكريستين شيكرت الذين قاموا بعمل رائع على مدة تلك السنوات، نحن ممتنون جدًا للتعاون الرائع والملهم مع المحررين الإقليميين وفرقهم من جميع أنحاء العالم ، الذين جعلوا من حوار كوني كونيًا حقًا ومادّة متاحًة للجمهور الأكاديمي وغير الأكاديمي العريض و الامتنان موصول للمحررين متصرفين لولا بوسوتيل وأوغست باجا العمود الفقري الإبداعي والتنظيمي للنشرية؛ للمحررين المساعدين أبارنا سوندار وكريستوفر إيفانز على تحرير النسخة العصماء. تقدير وممنونيّةٌ لرئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع والأمانة العامة لما قدّمه من دوام الدعم وسعة المساندة. تقديرنا لجميع مؤلفي حوار كوني لتقديم رؤاهم وتأمّلاتهم حول علم الاجتماع النابض بالحياة نيّر مشعّ في أماكن عدّة حول العالم. لقد كان من دواعي سروري أن أكون جزءًا نشطًا من باقة حوار كوني الباهر البديع هذا. ولن يكتمل التقدير والثناء. سنفتقدهم جميعًا. يسعدنا الآن أن نرحب بمحررها الجديد Breno Bringel ، وهو عالم اجتماع سياسي مشهور عالميًا وعضو نشط منذ فترة طويلة في ISA ، والذي سيواصل بلا شك دفع الحوار العالمي إلى الأمام وإلى الأعلى في السنوات القادمة. ■

> يمكن الاطلاع على حوار كوني بلغات متعددة على موقع الجمعية الدولية لعلم الاجتماع ج د ع اج GD website.

> ترسل المقالات المقترحة للنشر على العنوان globaldialogue.isa@gmail.com.

GLOBAL DIALOGUE

ISA International Sociological Association

> فريق التحرير

رئيسا التحرير: بريجيت آلونباخر، كلاوس دور

محرران مساعدان: رافائيل ديندل، يوهانا غروبنر، وليد إبراهيم

محرر مشارك: كريستوفر إيفنس

محرران متصرفان: لولا بوسوتيل، أوغست باغا

مستشار: مايكل بورروای

مستشار إعلامي: خوان لاراغا

محررون مستشارون: ساري حنفي، جيوفري بلايرز، فيلومين غوتييرس، إلويزا مارتن، ساواكو شيراهاسي، إيزابيلا بارلنسكا، توفا بنسكي، شيه جو جاي شن، يان فريتز، كويشي هوزيغاوا، هيروشي إيشيدا، غريس كونو، آلسون لوكونتو، سوزان ماك دانييل، إلينا أويناس، لورا أوسو كاساس، باندنا بوكاياستا، رودا ريدوك، منير السعيداني، عائشة ساكتانير، سيلي سكالون، نازانين شاه روكني.

محررون إقليميون:
العالم العربي: منير السعيداني، فطيمة الرضواني، (تونس)، ساري حنفي (لبنان).

الأرجنتين: ماغدالينا ليومس، خوان باريكو، مارتن أورتاسون.

بنغلاديش: حبيب الخندكر، خير الشودري، محمد جاسم الدين، بيروي كريشنا بانيك، سابينا شارمن، سيباك كومار ساها، محمد جهير الإسلام، عبد الرشيد، سركر سوهيل رانا، جويل رانا، هلال الدين، مسدالرحمان، ب.م. ناجموس ساكيب، إشارات جاهان إيمون، شمس العارفين، ياسمين سلطانة، إكرام الكبير رانا، صلاح المأمون، شارمين أكتر شابلا، رومان برفيز.

البرازيل: فابريسيو ماسيل، أنجيلو مارتينز جونيور، أندريزا جالي، ريكاردو فيسر، جوستافو دياس، خوسيه جيرادو نيتو، جيسيكا، مازيني مينديز.

فرنسا/إسبانيا: لولا بوسوتيل.

الهند: راشمي جاين، راكيش رنا، مانيش يادااف، براغيا شارما.

أندونيسيا: هاري نوجروهو ، لوسيا راتيه كوسومادیوي، فينا إترياتي ، إنديرا راتنا إيراواتي باتيناساراني ،
بنديكتوس هاري جولياوان ، محمد شويب الدين، دومينغوس إلسيد لي، أنطونيوس أريو سيتو هاردجانا، ديانا تيريزا باكاسي، نورول عيني ، جيجر ريانتو ، أديتيا برادانا سيتيادي
إيران: ريحانة جوادي ، نيايش دولتي ، سيد محمد المطلبي ، إلهام ششتاريزاد.

إيران: : ريحانة جافادي، نياشي دولاتي، عباس شهربي، سيد محمد مطّلبي.

كازاخستان: أيجل زابيروفا، بيان ساماغامبت، عادل روديونوف، ألمش تليسباييفا، كوتنيش تل، المغول موسينا، أكنور إيمانكول، ماديار ألديريانوف.

بولونيا: أورسولا جاريكا ، جوانا بيدناريك ، مارتا بلازينسكا، آنا تورنر ، ألكساندرا بيرناكا.

رومانيا: رالوكا بوبسكو، ياسا-غابرييلا زامفيريسكو، لوليان غابور، مونيكا جيوجيسكو، إيونا يانوس، بيانكا ميخايلانا، فيرونيكا أونسيا، ماريا ستوزيسكو.

روسيا: إيلينا زدرافومسيلوفا، داريا خلودوفا.

تايوان: وان جو لي، تاو سونغ لو، تسونغ جين هونغ، سويان لي رن، يو شيا شين، يو وين لياو، برو شونغ هونغ.

تركيا: غول سورباسيوغلو، إيرماك إيفرين.

يبحث المؤلفون في هذه الندوة في موضوع علم الاجتماع العام كعمل مايكل بوراووي، رئيس الرابطة الدولية لعلم الاجتماع.

باحثون من أوكرانيا و رومانيا ينظرون الى موضوع الحرب الراهنة في اوكرانيا و حرب الاعتداء الروسية، و الآثار التي تخلفها على علم الإجتماع.

القسم النظري يبحث في موضوع نجاح حملات «الجمعة للمستقبل» من وجهة نظر التحركات الاجتماعية.

GD

تصدر حوار كوني بفضل الدعم السخي لمنشورات سايج (SAGE Publications)

> في هذا العدد:

الافتتاحية ٢

> حديثٌ في علم الاجتماع

التحرّك على الصعيد العالمي: علماء الاجتماع يدافعون عن حقوق العمال
مقابلة مع ميشال فورد
بقلم دميتري لاورونس لاروشال ٥

> مايكل بوراووي- السوسيولوجيا العمومية

السوسيولوجيا العمومية في السياق الرّوسي
بقلم سفيتلانا ياروشينكو وإلينا زدرافوميسلوفا، روسيا ٨
الدفع بالسوسيولوجيا العمومية نحو السوسيولوجيا الحواريّة
بقلم ساري حنفي، لبنان ١١
التأمّل والتفكير في مايكل بوراووي وفكرة السوسيولوجيا العمومية
بقلم مارغريت ابراهمالولايات المتحدة الأمريكية ١٣

> حوارات تقاطعية

التّفكير في مفهوم التّقاطعية محلّيا وعالميا
بقلم كاثي دايفس، هولندا و هيلما لوتز، ألمانيا ١٥
الماضي التّقاطعي يقضّ مضجع المستقبلات التّقاطعية
بقلم آن فينيكس، المملكة المتّحدة ١٧
منظورات تقاطعيّة حول الحركات الاجتماعية
بقلم باربرا جوفانّا بالو، إيطاليا ٢٠
أوجه التضامن التّقاطعي ومقدمو الرعاية المهاجرون
بقلم ايتال تانغوهان، كندا ٢٢
السعي إلى خلق استعارة تقاطعية مناسبة
بقلم أموند ريك هورفات، النرويج ٢٤
التقاطعية بوصفها أسلوبا نقديا
بقلم كاثي دايفيس، هولندا و هيلما لوتز، ألمانيا ٢٦

> آفاق نظرية

أيام الجمعة من أجل المستقبل: منظور الحركات الاجتماعية
بقلم كويتشي هاسيغاوا، اليابان ٢٨

> آفاق حول أكرانيا

كيف تؤثّر الحرب الروسية الأكرانية في السوسيولوجيا
بقلم ناتالي دجارنيش، أوكرانيا ٣١
الصدمة الفردية والجماعية
بقلم يوري باشكوفسكي، أوكرانيا ٣٣
عندما تُغيّر الحرب في أوكرانيا ما كنا نعتقد أننا نعرفه
بقلم داري كريستيا، رومانيا ٣٥

> قسم مفتوح

لماذا الحاجة إلى بيانات تقاطعية مقارنة حول مجتمع الميم
بقلم سايت باركاردار، وأندرو كينج، المملكة المتّحدة ٣٧
من يمتلك المعرفة؟ الاعتراف والتثمين والاجحاف المعرفي
بقلم يانا بايسفيك، المملكة المتّحدة ٣٩
الأجساد الربحية وحركيّات الرّعاية في أوروبا الوسطى والشرقية
بقلم بتراء عز الدين،جمهورية التشيك
وكريستين كراوس، هولندا ٤١
العمالة المنزلية بالوساطة: السوق السريلانكية السعودية
بقلم واسانا هاندابانغودا، النمسا ٤٣

”في علم الاجتماع، من السهل جدًا أن تتورط حقًا في البحث على المستوى الجزئي - وهذا مهم - ولكن من الجيد أن تكون لك القدرة على توضيح ذلك والتعبير عن ذلك حول مسائل أعمق“

ميشال فورد

> التحرّك على الصعيد العالمي:

علماء الاجتماع يدافعون عن حقوق العمال

مقابلة ميشال فورد

تشغل الأستاذة ميشال فورد منصب مديرة مركز سيدني لجنوب شرق آسيا، أستراليا. وتتمحور أبحاثها حول الحركات العمالية في جنوب شرق آسيا، والتقاطع فيما بين الهيئات النقابية الوطنية والدولية، وهجرة اليد العاملة، ومشاركة العمال في الحياة السياسية. وقد لقي عملها الدعم والمساندة من خلال مِنَح قدّمها المجلس الأسترالي للبحوث (*ARC*) في مجال تلك الموضوعات وغيرها. تدير ميشال فورد حاليًا المشاريع المبتكرة (*ARC Discovery Projects*) حول علاقات العمل في مجال صناعة الملابس في ميانمار وفي صناعة الصيد التجارية في أندونيسيا، كما تدير مشروع الرّبط التابع للمجلس الأسترالي للبحوث (*ARC Linkage Projects*) بشأن استجابات النقابات العمالية للعنف القائم على الجندر في مجال صناعة البناء والتشييد في كمبوديا. تساهم فورد الإضافة إلى عملها الأكاديمي، في أعمال استشارية مكثفة لمنظمة العمل الدولية (ILO) والحركة العمالية العالمية والحكومة الأسترالية.

حاورتها ديميتري لاورونس لاروشال، باحثة ما بعد الدكتوراه في جامعة الفنون التطبيقية العليا في فرنسا *Université Polytechnique Hauts-de-France*. وهي ممثلة الجمعية الدولية لعلم الاجتماع للشباب لدى الأمم المتحدة (*ISA*). لاروشال عضو هيئة لجنة البحوث التابعة للجمعية الدولية لعلم الاجتماع المعنية بعلم اجتماع الاتصال والمعرفة والثقافة (*Art Style | Art & Culture International Magazine*) (*RC14*) ومحرر مشارك في مجلّة أنماط فنّيّة /الفن والثقافة الدولية إضافة إلى عضويتها في هيئة تحرير المجلة الدوليّة *THESIS*.

د.ل.ل. هلّا أفدتنا من فضلك بعلاقتك بمنظّمة العمل الدولية؟ منذ متى تتعاونين مع المنظّمة وبأي الطرق يتمّ تعاونكم؟

م.ف. كان أول اتّصال لي بمنظّمة العمل الدولية وتعاملي معها في ميانمار. حيث كنت أقوم سنة ٢٠١٣ ببعض الأعمال للنظر في كيفية ظهور العلاقات العمّالية ما بعد المرحلة الانتقالية هناك، وكجزء من ذلك، أجريت مقابلات مع أشخاص يعملون في منظمة العمل الدولية. ونظرا لإدارتي أيضًا لمركز سيدني لجنوب شرق آسيا فقد قررت أنه سيكون من المفيد الانخراط مؤسسياً، وتقديم ورشة عمل لفائدة النقابيين وأرباب العمل والمسؤولين الحكوميين من أجل تشغيل حركة أفكار وإتاحة الفرصة للمشاركين للاطّلاع عمّا تقوم به الدول الأخرى في علاقة بالعلاقات العمّالية. فقمت بعرض هذه الفكرة على مكتب منظمة العمل الدولية في ميانمار الذي أعرب عن ابتهاجه البالغ بالتعاون معنا. احتضنت الورشة ما بين ٧٠ أو ٨٠ شخصًا، بما في ذلك الوزير والرؤساء التنفيذيون والمديرون العامون المعنيون. لقد كان تعاونًا جيدًا حقًا. ثمّ طلب مني بعض أولئك الأشخاص، والذين تحوّلوا بعدها إلى مناصب أخرى داخل منظمة العمل الدولية، القيام بأنشطة أخرى. إذ عملت على سبيل المثال مع زميل لي على صياغة ورقة معلومات أساسية تعنى بصناعة الملابس في ثمانية بلدان في آسيا،

>>

وحظيت بلك الورقة بدعم من المكتب الإقليمي لمنظمة العمل الدولية.

ثم سافرت سنة ٢٠١٩ إلى جنيف للقيام ببعض الأعمال الميدانية مع النقابات العالمية. حينها لاحظ أحدهم في منظمة العمل الدولية كتابًا كنت قد كتبته عن النقابات العالمية وهجرة العمالة وطلب مني تقديم عرض تقديمي، وأثناء قيامي بذلك، أجريت بعض المقابلات مع عدة أشخاص أحدهم رئيس مكتب منطقة آسيا والمحيط الهادئ التابع لمكتب الأنشطة العمّالية في إندونيسيا (ACTRAV) الذي كلّفني لاحقا بإجراء بحوث حول العمّال في صناعة زيت النخيل في أندونيسيا وحول استراتيجيات الاتحاد الرقمي في آسيا والمحيط الهادئ.

من المثير للاهتمام أن بعض ما نشرته من المواد المتعلّقة بمنظمة العمل الدولية كان شديد الأهمية وعرضة للانتقادات، على سبيل المثال في علاقة المنظمة ودورها في ميانمار، لكني أشعر أن الأشخاص الذين أتعامل معهم منفتحون تمامًا على ذلك. أعني أنه لو لم يكونوا يتميّزون بالانفتاح فلن ينشؤا علاقات معي ولن يبدوا التزامهم. يبدي الأشخاص الذين أنخرط معهم في أعمال داخل منظمة العمل الدولية احتراما لدوري كصديقة / ومن خارج المنظّمة تتحلّى بالنقد. وعليه، لا أشعر البتّة أنني أقدم تنازلا عند التعامل معهم. وإن كنت كذلك لما انخرطت أصلا في التعاون مع المنظّمة.

د.ل.ل. هل لك رجاءً أن تخبرينا عن كيفية تطبيق منظورك ومهاراتك السوسيولوجية ضمن منظّمة العمل الدوليّة وبصورة أكثر دقّة هل يمكنك توضيح كيفية عمل عالم الاجتماع في منظومة الأمم المتّحدة من أجل تعزيز الحلول المرتبطة بالمسائل المتّصلة بالعمل؟

م.ف. يتمثّل أهمّ شيء في اعتقادي في طرح منظور أكاديمي. فنحن قادرون على انشاء معارف وتوليد رؤى يعصى على المؤسسة بالضرورة توليدها بنفسها. فحين تُمعن النظر في طريقة عمل منظمة العمل الدولية وآلياتها فستلاحظ أنّها تكلّف الكثير من الأشخاص بإعداد البحوث. لقد عملت بحُرّية مطلقة في تنظيم هذه المشاريع لأنها تمثّل كلّها مشاريعا ذات توجه بحثي ولا تمتُّ بالتقييمات البتّة. لقد انخرطت في الكثير من الأعمال ذات المنحى التقييمي لصالح الحركة العمّالية الدولية إلّا أنّها كانت أعمالا مختلفة تمامًا. أمّا في حالة منظمة العمل الدولية ثمّة بعض الأسئلة التي تسعى المنظّمة إلى الإجابة عليها. لكن عدا ذلك هم منفتحون تماما للسّماح لي بهيكلة المشروع وهنا يكمن الحيّز الذي يمكنني من خلاله تقديم خبرتي الأكاديمية، أليس كذلك؟ لذلك، يمكنني تحديد أنواع البيانات التي أحتاجها وكيفية جمعها وكيفية معالجتها.

كان يساورني القلق حين شرعت في العمل مع المنظّمة من إمكانية إخضاع عملي لبعض الرقابة، حيث حيث يتعين منظمة العمل الدولية أن تراعي الاعتبارات بشأن منظورات الحكومة وكذلك وجهات نظر النقابات وأرباب العمل –ولو ثبت ذلك لي كنت سأتوقف بالتأكيد عن العمل معهم. لكنني لم أشعر بفرض المنظّمة أي قيود على عملي. لقد شكّل ذلك مفاجأة سارة! ربما يكون هذا أحد الأسباب التي تجعلهم يرغبون في جلب الباحثين من خارج المنظّمة [تضحك] – لاضفاء المزيد من الوضوح على النقاش الدائرو ادراج وجهات نظر مختلفة.

د.ل.ل. لقد أشرت من قبل إلى تقديمك لإفادات نقدية وأن الأشخاص داخل منظمة العمل الدولية منفتحون جدًا وأنّ لا قيود مفروضة عليك. ومع ذلك، هل واجهت أي تحديات أخرى؟ بشكل عام، ما هي التحديات التي قد يواجِهها عالم الاجتماع في عمله في المنظمات الدولية؟ وإن كنت قد واجهت أي تحديات أخرى فكيف كان التغلّب عليها؟

م.ف. صراحة، ربّما ليس هذا بالأمر الذي ترغب أيّ منظمة في قراءته [تضحك] لكن أشير إلى أنّ منظمة العمل الدولية غارقة في قدر عظيم من البيروقراطية. ولهذا السبب، تتحرّك وتيرة العمل ببطء شديد. لذلك، ففي أحد المشاريع الأخيرة على سبيل المثال، حدّدوا لي إجراء مجموعة من المقابلات مع النقابات في منطقة آسيا والمحيط الهادئ. وددتُ القول من ناحية كان ذلك مفيدًا جدًا. لكن كان بالإمكان القيام بذلك كله بشكل أسرع لو أتيحت لي فرصة القيام بذلك بنفسي. البيروقراطية تتطلّب الكثير من التنقل. والمنظّمة مؤسسة كبيرة لذا حين يعمل الشخص ضمنها يتوجّب عليه التعامل والالتزام بأسلوب عملها ومبدئها في التعامل مع الأمور وكيفية القيام بها. وكذلك كلّ آليات إنجاز الأشياء ...، على سبيل المثال، تبدو المسألة متباعدة لا جامع يجمعها مع العمل ضمن منظمة غير حكومية تتمتع بقدر كبير من المرونة وينشط في صلبها فريق أصغر وعليه تصبح إنجازات الفريق مهمّة سريعة التحقيق. لكنه يجلب هذا بالتأكيد مزايا أيضًا لأن البحث الذي يتم إجراؤه لمنظمة العمل الدولية يحمل طابعا معيّنا. إذ يعدّ العمل مع المنظّمة بمثابة منصّة لإنشاء سيرة ذاتية جيدة. فأنا أستاذة تعليم عال، لذلك لا يهمني الكثير أكاديميًا، لكن يعني لي ذلك وإلى حد كبير حين يتعلّق الأمر بعملية الاعتماد المهني لأنواع أخرى من البحوث التّطبيقية، فهو من المفيد للغاية العمل ضمن منظمة العمل الدولية.

أعتقد أن الأمر سيكون مختلفًا تمامًا إن لم تكن أكاديميًا، وتعمل خبيرا مستشارا في مجال بيع الأراضي وشرائها. قد يكون الأمر صعبا في مثل هذه الحالة، وذلك لعدم توفير منظمة العمل الدولية ظروف عمل جيدة جدًا للخبراء، أو غياب دفع رواتب جيّدة جدا تقدّم لهم! لكن الأمر رائع حقًا لي بصفتي أكاديمية. إذ تتاح لنا الفرصة حتّى نتمكّن من التأثير في المناقشات، أليس كذلك؟ هؤلاء الأشخاص يتخذون قرارات بشأن البرامج التي ستنفذها منظمة العمل الدولية. لذلك فهو لشرف حقيقي أن تتاح لك فرصة الإسهام في عمليات صنع القرار. وهذه طريقة لتطبيق مهاراتنا الأكاديمية والفكرية حول مشكلات الحياة اليومية وقد تساهم في التوصّل إلى نتائج ملموسة حقًا فالمنظّمة هيئة قادرة على التأثير في الأشياء.

د.ل.ل. ما هي في رأيك حدود انخراط عالم الاجتماع داخل الأمم المتحدة ؟

م.ف. أعتقد أن المؤسسات الشريكة في منظومة الأمم المتحدة هي منظمات كبيرة للغاية وتحضن العديد من أصحاب المصلحة. ممّا يتوجّب قياس كلّ شيء سياسيًا وبدقة بالغة نظرا لمصالح أصحاب المصلحة أولئك. إضافة إلى قاعدة تمويل منظمة العمل الدولية الضيّقة نسبيًا. وعليه، وعلى أكثر من نحو، يتعيّن على المنظّمة الاستجابة لأجندات المانحين والالتزام بها. ييسّر ذلك أحيانا القيام بالعمل بشكل جيّد، ولكن يفرض في بعض الأحيان التخلي عن العمل الجيد لغياب التمويل المستمر أو، كما تعلمين، يتم دفع جهود الأشخاص في مسار معيّن بسبب طبيعة أجندات المانحين. تجدر الإشارة في حالة منظمة العمل الدولية، أنّ عدد البلدان المموّلة لمعظم أنشطة المنظّمة يظلّ محدودا نسبيا. وبالتالي يشكّل هذا بالتأكيد عمليّة وضع الأجندات. ليس هذا في اعتقادي بالضرورة شيئًا سلبيًا، لكنه يحدّ من فرص علماء الاجتماع في التأثير.

د.ل.ل. نواجه منذ سنة ٢٠٢٠ جائحة عالميّة لها حتماً عواقب بالغة الأهميّة على ظروف العمل وعلى العمّال في جميع أنحاء العالم. ما هي السياسات التي شجّعتها بحيث تعزز حقوق العمال أثناء الجائحة؟ وهل تمّ إغفال بعض المجالات برأيك؟

م.ف. لا ليس تغافلا بالغا. غير أنه فيما يتعلق ببعض المجالات الرئيسية، بعض أبرز القضايا الملحة والمثارة راهنا مثال الظروف التي تشهدها في سلاسل التوريد. و إن نحن دققنا النظر في صناعة الملابس، فحين ضربت جائحة كوفيد ١٩ العالم كان تأثيرها في قطاع الخدمات اللوجستية وسلسلة التوريد حاسما إذ حدثت اختناقات في الخدمات اللوجستية ولوحظ تَدنّ في طلبات المستهلكين من السلع. وفجأة، لم تعد المصانع تتلقّى الطلبيات. مما اضطرها إلى واحدة من اثنتين إما التقليص من

<<

ساعات العمل أو التخلص من العمّال. وفي هذا السياق، تثير العلامات التجارية الكثير من الضجّة حول كل الأشياء التي يقوم بها العمال. أما في زمن الأزمات مثل جائحة كوفيد ١٩، نلحظ مدى سرعة تراجعهم. لقد تحقق الكثير من العمل في العشرين إلى الثلاثين عامًا الماضية بشأن الحوكمة الدولية لشؤون العمال، بما في ذلك من خلال منظمة العمل الدولية. ولكن الكثير ما زال بحاجة إلى الإنجاز في هذا الصدد فيما يتعلق بالوجود الفعلي لنظم يتم فيها معاقبة الشركات متعددة الجنسيات التي لا تتبع التصرف الصائب فيما يتعلق بانتهاكاتها لحقوق العمال، أمامنا شوط طويل نقطعه لتحقيق ذلك.

يحظى اقتصاد الوظائف المؤقتة أو اقتصاد العربة راهنا باهتمام كبير لدى علماء اجتماع العمل والعلاقات العمّالية ويمكن أن يؤدّي بدوره في بعض السياقات فعليًا إلى إضفاء الصبغة الرسمية على العمل. لذلك، ففي بلدان مثل الهند وأندونيسيا أمكن للأشخاص الذين كانوا يعملون تحت مظلّة غير الرسميين سابقا، الآن على الأقل التنظّم ضدّ شخص ما. ولكن وعلى الجانب الآخر تتسّم المنصّات بقوّة محكمة للغاية بحيث يمكن أن تُمثّل تحديًا حقيقيًا أمام الحفاظ على حقوق العمال. أمرٌ مشجّع أنه ثمّة قضايا أمام المحاكم الآن حيث يتم الاعتراف بوضع سائقي التّوصيل بوصفهم عمّالا، لكنني لا أعتقد أن منظمة العمل الدولية أو أي شخص آخر يحمل فكرة جيّدة حتى الآن حول كيفية تنظيم تلك الأشكال الناشئة والمستجدّة من العمل.

أشير إلى أنّه ثمّة شيء بذلت منظمة العمل الدّولية قصارى جهودها في العمل عليه على مرّ السّنين، وهذا أمر جيّد، وهو محاولة فهم عمل القطاع غير الرسمي بشكل أفضل والذي يرتبط في الواقع بعمل المنصة الرقمية الذي يعدّ من نواحٍ عديدة شكلاً وسيطًا بين التوظيف الرسمي والتوظيف في القطاع غير الرسمي. أعتقد أن هذه أفضل فرصة لنا بوصفنا علماء اجتماع وأيضًا أشخاصا يرغبون في الانخراط على أرض الواقع لمحاولة إيجاد طرق مختلفة والعمل على أساليب مختلفة يمكن من خلالها تمثيل مصالح العمال في القطاعات غير الرسمية.

هذه أبرز المسائل في اعتقادي ولا تعتبر هذه مسائل جديدة أو متصلة على وجه التحديد بجائحة كوفيد ١٩ التي وضعت إصبعها على الجرح وأبرزت المشاكل في تلك الصناعات. إضافة إلى تراجع دولة الرعاية وغياب دولة الرفاه الاجتماعي في البلدان التي لم تؤسّس لمنظّمات الرعاية في المقام الأول. تعلمين جيّدا أنّه في مثل هذه الأزمنة يغدو من الواضح حقًا مدى عمق تأثير ذلك في الأفراد. إذ تتباين الحياة تماما إن كنت في النرويج أو اليونان أو الكونغو ويبرز لك الفرق في تأثير الأشياء مثل جائحة كوفيد ١٩اختلافا بارزا. أعتقد بهذه الطريقة أيضًا، إنها صيحة استنفار وحشد للدفاع عن قضية إعادة تأكيد دولة الرعاية ... لقد أكد الوباء حقًا على أهمية وضع شبكة أمان اجتماعي.

د.ل.ل. هل من نصيحة تقدّمينها لعلماء الاجتماع والباحثين الاجتماعيين الشبّان الذين يشرعون في مسيرتهم المهنية في المجال الدولي؟ هل من توصيات أو معلومات حول تحديد فرص العمل ؟

م.ف. تعتبر المؤسسات الشريكة في منظومة الأمم المتحدة جهة توظيف كبيرة للباحثين الاجتماعيين الشبّان في حدّ ذاتها. وبالتالي ثمّة العديد من الوظائف ضمن المنظومة وكذلك في أخريات المنظّمات التي تتجمّع حول منظومة الأمم المتحدة. ثمّة أيضا المنظّمات غير الحكومية الدولية وغيرها. ثمّة كذلك الكثير من الأشخاص الحاصلين على درجة الدكتوراه.

وإن التحق شخص بالمسار الأكاديمي فإنّي أعتقد فعلا أنّه من المجزي انخراطه في منظمات مثل منظّمة العمل الدولية إذ يؤسس مثل هذا الانخراط للبحث ويبنيه ويخرجنا من بوطقة المستوى الجزئي.

من السهل جدّا في علم الاجتماع، أن نعلق حقًا في البحث المتصلة بالمستوى الجزئي - وهذا مهمّ - لكن من الجيد أن تكون قادرًا على توضيح تفاصيل مسائل أكبر وإنشاء فهم أفضل. يساعدنا التأمّل في كيفية عمل منظومة الأمم المتحدة على طرح بعض الاسئلة المليئة بالتأمل. وقد لا تطابق الإجابات على هذه الأسئلة في خانة الإجابات التي ترغب منظومة الأمم المتحدة نفسها في سماعها بالضرورة. ولكن من عن طريق انخراطنا في الواقع ولكن بأصواتنا الناقدة، أعتقد أن لدينا القدرة على التأثير على هذه المنظومة ذاتها، ولكن أيضًا نكون صوتا ونبضا تستضيئ به الجماعات في المجتمع في جميع أنحاء العـــالم. والتي يأمل النظام في خدمتها.

عمليًا من الأهميّة بمكان تكتل الباحثين الشبّان في فرق والتشبيك ضمن اختصاصاتهم واجراء اتصالات مع الاخصائيين الممارسين والتواصل معهم واثبات المساهمة الجيدة... وبالتالي، حين البحث عن شخص ما للمشاركة في المشروع وأداء المهمّة سيتّجه تفكيرهم إليك. فالتشبيك أوّلا ثمّ إثبات استحقاقك وجدارتك. وستغدين في نهاية المطاف واحدة من الأشخاص الذين يقصدونهم. ■

توجّه كل المراسلات إلى ميشال فورد على العنوان الإلكتروني <michele.ford@sydney.edu.au>

> السوسيولوجيا العمومية في السياق الرّوسي

بقلم **سفيتلانا ياروشينكو** و**إلينا زدرافوميسلوفا**، رابطة علماء الاجتماع في سان بطرسبرغ، روسيا

"نقاش حول علم الاجتماع العام في سانت بطرسبرغ"، يوجينيا جولانت ، ٢٠١٥.

نتناول بالنقاش في هذه الورقة التحدّيات التي تواجهها السوسيولوجيا العمومية في روسيا اليوم. بإثارة السؤال الرّئيس: ما الذي يمكننا قوله عن الالتزام المهني في نظام سياسي لا يزال توصيفه غير مدرج في مصطلحات تعريف الأنظمة؟ فنحن نعيش حاليًا الكابوس البائس الفعليّ لـ «العملية العسكرية الخاصة» - الحرب في أوكرانيا – ونصف ونرسم هنا تأثيرها في علم الاجتماع قيد الاعتمال. كما نشير إلى المناقشات والأبحاث التي أجريت في روسيا، ونُورِدُ خبرتنا المهنية، كما نُحيلُ إلى كتاب مايكل بوراووي المعنون علم الاجتماع العمومي: اليوتوبيا ومناهضة اليوتوبيا (٢٠٢١) الذي تناولناه بالنقاش مع الزملاء بما في ذلك تلك التي ذَكَرها بوراووي في مقدّمة كتابه وكذلك الباحثين الذين ساهموا في تطوير علم الاجتماع العمومي الروسي.

> الإستلهام من مايكل بوراووي

يقوم مايكل بوراووي بتحديد سمات عديدة للسوسيولوجيا في إطار الأنظمة غير الديمقراطية ويؤكد أنه في مثل هذه الظروف، يعمل علم الاجتماع بمثابة «الحزام الناقل لإيديولوجية الدولة الحزب» ويبرز بشكل أساسي في شكل علم اجتماع السياسات الخانعة. فالحرية الأكاديمية محدودة إضافة إلى الرقابة الصارمة التي يرزح تحت وطأتها الباحثون في أنشطتهم. ونحن نعتقد أن مثل هذا التوجه الخاضع للدّولة الحزب لا يغدو أن يكون علامة غير مرغوب فيها لعلم الاجتماع في روسيا ويصعب التغلّب على الالتزام بهذا المسار.

ومع ذلك، فإن التيار المعارض لعلم الاجتماع المهني النقدي والتزامه بالانفتاح العام أمران بارزان أيضًا في المشهد الاجتماعي الروسي. في تباين صارخ لعلم الاجتماع التجريبي عموما حين برز في شكل أبحاث موجهة أو مسترشدة لصنع السياسات، إلا أن ثمّة أيضًا علماء اجتماع ما فتئوا يناضلون من أجل الاستقلال المهني، والحق في تقديم الخبرة المستقلة، وإمكانية مناقشة صريحة للقضايا داخل مجتمع علماء الاجتماع ومع الجمهور غير الأكاديمي. ولطالما سعى علماء الاجتماع الروس دوما سعيا جهيدا لكي يكونوا مفكّرين عامين. ولطالما اشتكى أفضل علماء الاجتماع خلال السنوات السوفيتية وللأسف من مجرد الطابع الزخرفي وعدم الجدوى التي كانت تنطوي عليه بحوثهم. كما عرضوا التشخيص الاجتماعي وقدموا نصائحا لم يليها أحد اهتماما خلال النظام الاستبدادي.

يعتقد باروواي في «حاجة تخصصنا للالتزام العمومي حتّى يحقق التألق والازدهار» ولا يزيد التأمّل الذاتي لعلماء الاجتماع الروس إلّا تأكيدا على هذا التصريح. اتفق العلماء حين مناقشاتهم لآفاق علماء الاجتماع الروس في العقد الأول من الألفية الثالثة، على أن «التصحّر النّظري» وغياب الكفاءة المهنية لا تعدو أن تكون نتاجا لضعف المجتمع المدني وللثغرات التي تتخلّل المؤسسات ولغياب الاستقلالية (Romanov & Yarskaya 2008; Sokolov 2009). كما أعرب جزء من مجتمع علم الاجتماع المهني العالمي عن أمله في أن الانتقال الديمقراطي والاندماج في المجتمع الاجتماعي العالمي من شأنه يدفع نحو التغلب على القيود المفروضة على علم اجتماع السياسات الخانعة والسطحيّة. وفي حين أكد آخرون على اتجاه التجزئة وغياب التواصل المهني (Lytkina & Yaroshenko 2019).

> الإنجازات التي حققتها السوسيولوجيا العمومية في الألفية الثالثة

في حقبة ما بعد الاتحاد السوفياتي، تنامى بروز علم الاجتماع في المجال العام. فلطالما تركت ادعاءات السوسيولوجيا العمومية أثرا في الفكرة الشائعة لاختصاصنا. تشير إلى اعتقاد الأجيال الناشئة من علماء الاجتماع الروس إلى ارتهان البحوث الاجتماعية بضرورة التعامل مع المواطنين. إذ يقومون بإجراء بحوث تستهدف مبادرات القواعد الشعبية والمنظمات غير الحكومية. وهكذا، حظيت فكرة علم الاجتماع العمومي العضوي بالدعم داخل مجتمع علم الاجتماع الروسي المحترف.

ولكن في الجزء الأغلب، لم تمّح أثار علم الاجتماع العمومي التقليدي فنحن لا نزال نعاينها متمثّلة في المحاضرات العامة، والمقابلات، والحوارات، وتقييمات الخبراء، وتعميم البيانات البحثية. إذ تعتبر كل هذه الأنشطة هامة في عمليات التصنيفات المهنية. فثمّة استفادة مهمّة من الانخراط في المجال العام الذي يتيح تحقيق فوائد مادية ورمزية للمؤسسات والأفراد. اكتسب علماء الاجتماع الروس على مدى العقود القليلة الماضية خبرة في كيفية التواصل مع وسائل الإعلام (من خلال اتخاذ خيارات مستنيرة لمحاورين إعلاميين موثوق بهم). وغدت هذه المعرفة إنجازًا يحسب لعلم الاجتماع العمومي التقليدي في روسيا. ومنذ فترة برز انقسام سياسي ليصبح سمة مهمة في مجال العلوم الاجتماعية. وحتى وقت قريب، تمكّن ممثلو المعسكرات المختلفة من الربط مع وسائل الدعاية الخاصة بهم. وفتحت مجموعة وكالات إعلامية مختلفة موثوق بها لعلماء الاجتماع العمومي النقدي إمكانية الدعاية مبدية استعدادها للعمل معهم، تذكر من بينها قناة «صدى موسكو» «*The Echo of Moscow*» وصحيفة نوفايا جازيتا «*The Novaya Gazette*»، والعديد من الموارد على الإنترنت.

>>

ورغم ذلك، تقلّص المجال العام تدريجياً نتيجة التشديد الذي كرّسه الحكم الاستبدادي، فأُبْعِدَت الصحافة النقدية والبحوث التي يمثلها الأفراد والمؤسسات فسرا من المجال العمومي الرّسمي. فكانت النتيجة إمّا تصنيفهم في خانة «عملاء أجانب»، أو خضعوا لتحولّات أيديولوجية من خلال الرقابة الذاتية، أو ببساطة تمت تصفيتهم.

> التشريعات القمعية، عدم تمكين المجتمع المدني واختناق السوسيولوجيا العمومية

قبل ٢٤ شباط فبراير ٢٠٢٢ المشؤوم حين شنّت سلطات الدّولة الروسية «العملية العسكرية الخاصة» في أوكرانيا، أقدمت الأوتوقراطية على تدمير المجتمع المدني الروسي بإبطاله وعدم تمكينه وذلك بالحدّ من قدرة الطبقات الشعبية على التأثير في سياسة الدولة. غدت عمليات الاضطهاد في الآونة الأخيرة أمرا ممكنا من الناحية القانونية من خلال وضع مجموعة من التشريعات القمعية التي أقرها المجلس التشريعي الروسي عقب احتجاجات حاشدة ضد تزوير الانتخابات سنة ٢٠١١-٢٠١٢. وبشكل أكثر تحديدًا، يفرض قانون «دعاية المثليين» (٢٠١٣) قيودا على حرية التعبير ويجرّم مجتمع الميم LGBTQI +. كما ساهم هذا القانون في تقييد دراسات الجندر في روسيا. أمّا «قانون العملاء الأجانب» (٢٠١٢) فقد مثّل حبلا تسبب في اختناق المجتمع المدني وقيّد سير الأنشطة المهنية للمؤسسات غير المنتمية إلى الدولة والمنخرطة في مشاريع علم الاجتماع العمومي العضوي. استهدف هذا القانون في بدايته المنظمات غير الحكومية المنخرطة في الأنشطة السياسية والتي تتلقى منحا دولية. وراهنا، أصبحت الأبحاث المتّصلة بالسياسات والدعوة العامة موضوع هذه المؤهلات. كانت منظمات حقوق الإنسان والمؤسسات البحثية غير الحكومية مثل ميموريال ومركز ليفادا ومركز البحوث الاجتماعية المستقلة Memorial, the Levada Center, the Center for Independent Social Research وكذلك مراكز دراسات الجندر أولى الأولى المدرجة في تصنيف «العملاء الأجانب» (FA). غالبًا ما تكون كلفة هذا الوضع الراهن «المسمّم» حواجزا تعيق البحث الاجتماعي لا يمكن تخطّيها ممّا يؤدي إلى تضييق التعاون الدولي، فضلاً عن التقشف المالي والنفقات البيروقراطية (Skibo،2020).

كما أدى إنفاذ التشريعات القمعية إلى خنق المجتمع المدني الروسي. فخفتت أصواته وكأنها تحاول الفرار من الحناجر الخانقة. يخشى المواطنون النشطاء والمبادرات المدنية والمنظمات غير الحكومية من خطر الاضطهاد. ودفعت حالة الخوف العام هذه وكذلك القمع الفعلي إلى تصعّب الأمر على علم الاجتماع العمومي حدّ الاختناق. ذ كما سعت أغلب المنظمات غير الحكومية إلى تجنّب وضع الوصم واختارت استراتيجية التصفية الذاتية. (أغلقت عدّة مراكز الدراسات الجندريّة) وواصل نزر قليل من المنظّمات غير الحكومية المصنّفة ‹‹عملاء أجانب›› النشاط وفضّلت اختيار القيام بتجربة فُرضت ذاتيا من أجل البقاء.

وبالتالي ونظرا لمناخ الخوف أصبحت الرقابة الذاتية استراتيجية شائعة أخرى اتخذها الباحثون وسار على نهجها الصحفيون الذين يحاولون مواصلة «الأعمال كالمعتاد» في ظلّ ظروف خانقة. نلحظ أنّه بينما فرضت القنوات الإعلامية الرسمية قيودا على الاتصالات مع العملاء الأجانب، غدت وسائل التواصل الاجتماعي تشكل مجالًا عامًا بديلًا للمناقشات المفتوحة للجميع ومخرجا وجدوا فيه متنفّسا.

ومع ذلك، ليس هذا إلّا المرحلة الأوليّة من «العمليّة الخاصة» الموجّهة ضد ذلك الجزء من المجتمع المدني الروسي التي لم يقع تلجيمها. كما ساهم عامان من جائحة كوفيد -١٩ الأوتوقراطية على تشديد قبضتها على الأصوات المنتقدة بحظر حظر تنظيم التظاهرات العامة وسحق الاحتجاجات وتحويل اهتمام الرأي العام من الشؤون الدولية نحو التهديدات الصحية والحياة الشخصية.

.

> ديستوبيا العملية العسكرية الخاصّة واختناق السوسيولوجيا العمومية

تدهور الوضع ازداد سوءا بدرجة كبيرة مع بداية الحرب في أوكرانيا لترتفع حدّة القمع التي بانت مظاهرها في وضع مجموعة جديدة من القوانين القمعية التي أنهت المناقشات المفتوحة وجرمت الاحتجاجات. كما وسّع تعديل قانون العملاء الأجانب لسنة ٢٠٢٢ نطاق المستهدفين وذرائع الاضطهاد والملاحقات. إن فرض الأوضاع الجديدة لـ «منظمة غير مرغوب فيها» و «دولة غير صديقة» يخمد الجهود الرامية إلى التعاون الأكاديمي الدّولي. في هذا السياق، يبدو من السهل تصنيف الخبراء في حقل علم الاجتماع العمومي متعاونين وعملاء أجانب ويُرغَمون على الالتحاق بصفوف المضطهدين. ويمكن أن يحدث هذا حتى لأولئك الباحثين والمؤسسات الذين يحاولون إظهار وجهة نظرهم غير السياسية واعتقادهم في الحياد الأكاديمي.

في ظلّ هذا المناخ برز على السطح مجدّدا الانقسام التقليدي بين أخصّائي علم الاجتماع النقدي وعلماء الاجتماع الخنوعين. إذ عبّر العلماء الاجتماعيون بعد اندلاع الحرب عن مواقفهم المساندة للاحتجاجات في التوقيع على رسائل مفتوحة بعثوا بها إلى الرئيس بوتين. واضطر العديد من المتظاهرين إلى اختيار المنفى الداخلي أو الخارجي. (مؤقتا كما نأمل).

تداولت وسائل الإعلام في مارس/آذار ٢٠٢٢ رسالة دعم من اتحاد رؤساء الجامعات تحمل ١٨٠ توقيعا وبدت هذه البادرة السياسية صكًا يضمن لتلك الجامعات وموظّفيها قدرا من الأمان. إلا أنها وضعت تلك المؤسسات هدفا لثقافة الإلغاء في المجموعة الأكاديمية الدولية كردّة فعل على الرسالة وإقصائهم من الدوائر الأكاديمية. وتزامنا مع هذه الحالة تمّ التوقيع على

رسائل احتجاج و نشر الباحثون من الأفراد المستقلين والمؤسسات بيانات على مواقع التواصل الاجتماعي الخاصة بهم (قنوات تيلي غرام، وفايسبوك، وأنستغرام) وأكدت رسائل الاحتجاج تلك على الآثار المدمرة للحرب على المجتمع الروسي والأوساط الأكاديمية (Dubrovsky & Meyer 2022). وتم حجب موقعي التواصل الاجتماعي إنستغرام وفايسبوك بعد فترة وجيزة من بدء الحرب وغدا النفاذ فير المقيّد إلى مواقع التواصل الاجتماعي متاحا من خلال استخدام خدمات الشبكة الافتراضية الخاصة ف ب آن (VPN).

رغم ذلك يتفادى أغلب علماء الاجتماع الإفادة ببيانات مفتوحة تخصّ الاجتياح. ويبرّر الممتنعون عن الإدلاء اختيارهم لذلك الموقف «لاعتبارات مهنيّة». في اعتقادهم في العقلانية الحيادية الأبلغ بيان للباحث الذي يتعيّن عليه المحافظة على هدوئه، تقديم الخبرة، وينأى بعلمه عن بالقضايا السياسية. تجدر الإشارة إلى أن هذه الحجّة التي تبدو منطقية تغذيها مشاعر الخوف القوية التي تخترق الفضاء العام. إذ يكتسي مناخ الخوف العام هذا على أثر مثبط خانق يعيق التمكين السوسيولوجيا العمومية. ومع ذلك، تجري مناقشة بعض القضايا الاجتماعية بشكل حثيث في كل من المجالات العامة الرسمية منها والبديلة.

> الانتقادات الموجّهة ضدّ استطلاعات الرأي

هناك موضوع بالغ الأهمّية يرتبط مباشرة بالسوسيولوجيا العمومية التقليدية. إذ ما انفكّ علماء الاجتماع من المعارضون يعارضون منهجية المتّبعة في استطلاعات الرأي داخل الأنظمة القمعية وأثناء الصراع العسكري معتقدين أنّه لا ينبغي اعتبار الأرقام التي تشير إلى دعم العمليات العسكرية تعبيرا عن مواقف حقيقية. فمناخ الخوف العام يشوّه إجابات المستطلعين حيث باتت سوسيولوجيا العمومية موضوع تلاعب سياسي حيث تعبئ نتائجها على نحو يتماشى مع الدفاع عن الحرب وعن الجزاءات الاقتصادية (Yudin 2022). ويحظى هذا الانتقاد بتوافق المواقف ضمن المثقّفين العموميين المعارضين بينما يأخذ أولئك الذين يعبرون عن الولاء بيانات استطلاع الرأي للوهلة الأولى على قيمتها الاسمية.

> استراتيجيات علماء الاجتماع

لنثير السؤال التالي: ما هي الاستراتيجيات الممكن لعلماء الاجتماع تبنّيها الاجتماع حين تُقيَّد الحريات الأكاديمية ويعاني علم الاجتماع العمومي من الاختناق، يستمرّ

غالبية الأكاديميين في أعمالهم التّقليدية كالمعتاد - ولا يرون أي بديل لوضعهم المهني في الأفق. ولطالما اعتقدوا أنه مازال ثمّة مجالٌ لأداء الواجبات المهنية والاحتفاظ بالهدوء والاستمرار في العمل». كما يشدّد زملاؤنا على مسؤولياتهم التعليمية مبرزين أهمّية مساعدة الطلاب على التغلب على مشاعر الارتباك والإحباط. كما يعتقد الكثيرون منهم أنه حان الوقت للإثنوغرافيا لتغوص في هذا المجال وإلهام البحث الميداني واليوميات في أماكن مختلفة من عوالم الحياة الساحقة. بينما يوجّه آخرون بوصلتهم إلى تحليل مسألة الاستبداد والديستوبيا في الأدبيات الكلاسيكية التي يعتقدون أنها يمكن أن تساعد في تحليل أهمّ التحولات في الواقع الاجتماعي الرّاهن.

نلحظ «لإحباط البائس» الذي ينتاب العديد من الطلبة والباحثين حيال تخصّصنا. فقد أدركوا مدى خطورة الانخراط في السوسيولوجيا العمومية، مدى ضخامة حجم التكاليف الناتجة عن المزج بين العمل المهني والمشاركة في المجتمع المدني. إذ يدفع الخوف وانعدام حول آفاق استمرار العمل المهني في روسيا إلى الاغتراب و نقلة الباحثين الأكاديميين المعرضين للخطر (التي نتمنى أن تكون مؤقتة). فالسوسيولوجيا العمومية تختنق إذ تدنّت آفاقها بصورة جذريّة، ويسعى علماء الاجتماع المناصرون للاحتجاجات إلى تنظيم مساحات عامة مفتوحة بديلة على منصات وسائل التّواصل الاجتماعي حيث إمكانية المجاهرة بالقول والتعبير.

> فضاء عام بديل بمثابة أمل طوباوي حقيقي

يسعى علماء الاجتماع النقديون المساندون للاحتجاجات إلى الاعراب عن آرائهم وإسماع صوتهم في روسيا وعالميًا. إذ تنطوي استراتيجيتهم على الاستمرار في تأدية العمال المهنيّة لإبراز أصواتهم داخل الفضاء العام البديل الذي أتاحته تكنولوجيات الجديدة للمعلومات. إذ يشتغل الصحفيون المناصرون للاحتجاجات عبر الحدود في فضاء عبر الأنترنت تمّ إنشاؤه خلال جائحة كوفيد ١٩. فهم يديرون هؤلاء الصحفيون مناقشات عامة حول مسائل حارقة تعنى بالحياة في روسيا. نشير إلى اتاحة قنوات تيليغرام وفايسبوك مجالًا عامًا لأولئك المحتجّين ضدّ العملية العسكرية. لكن لا تحظى هذه الأنشطة بجمهور واسع وتخلق فقاعة معلومات.

يناقش علماء الاجتماع في هذا الفضاء العام البديل الشؤون الخارجية بصفتهم مثقفين عامين، بالإضافة إلى التعميق في البحث في مفاهيم أكثر تجردًا عن الحكم الاستبدادي الجديد، والديكتاتورية الاستبدادية، والأوتوقراطية الديكتاتورية والاستعمار والإمبراطورية. في محاولة لإيجاد دلالة ملائمة للنظام الروسي. ويلقي الكثيرون بحمل المسؤولية لما يحدث على كاهلهم. ويتساءلون: ما الذي غفلنا عنه؟ وكيف كان باستطاعتنا الحيلولة دون الحرب؟ ولماذا فشلنا في تنبؤاتنا؟

> الخاتمة

إن في قمع المجال العام لدلالةٌ على معاناة علم الاجتماع العمومي من اختناق مأساوي يتمثّل في حالة مرضية خطيرة حين يفقد الجسد الحي التنفس والقدرة على الحركة بسبب القصور عن الوصول إلى الأكسجين. تعرّض هذه الحالة بالتأكيد الحياة للخطر. حيث تمّ التضييق على علم الاجتماع العمومي في سياق النظام الاستبدادي الروسي وأصبحت إمكانيات تعزيزه محدودة للغاية جرّاء مناخ الخوف العام والقمع الفعلي. يرفق هذا الوضعَ معاناةُ علم الاجتماع العمومي التقليدي من رقابة قوية وتستخدم نتائج استطلاعات الرأي كأدوات سياسية. لكن يظلّ علم الاجتماع العمومي قائما عبر الحدود وفي المجال العام البديل لوسائل التواصل الاجتماعي.

يساعدنا الكابوس الدرامي البائس الذي نتخبّط فيه على فهم فكرة أن الاتجاه الاجتماعي الذي ننتمي إليه قائم على مبدأ الالتزام الأخلاقي والقيم الديمقراطية التي نتشاركها بثبات مع الآخرين وهي الحرّية والحكمة والمساواة والتضامن. علينا بالضرورة في الظرف الراهن أن ندّخر المعارف الفنّية حتّى تصبح متاحة للمجتمع مستقبلا. تفرض الظروف الحالية على علماء الاجتماع الروس إثارة أسئلة حول طموحاتهم وأسس عملهم وكذلك التفكير مجدّدا في الصلة المتينة بين مهنتهم والتزامهم الأخلاقي - وهو انعكاس يمكن تجنبه من قبل، تحت مظلّة الحياد. ■

توجّه كلّ المراسلات على البريد الإلكتروني إلى
سفيتلانا ياروشينكو <svetayaroshenko@gmail.com>
ولينا زدرافوميسلوفا <zdrav3@yandex.ru>

> الدفع بالسوسيولوجيا العمومية نحو السوسيولوجيا الحواريّة

بقلم **ساري حنفي**، الجامعة الأمريكية في بيروت

ل يُعدّ مايكل بوراووي Michael Burawoy مجرد منظّر اجتماعي يغذّي علم الاجتماع بعديد من الرؤى النظرية المعمّقة حول علم اجتماع العمل والاقتصاد السياسي بل يقوم حقًا بإعادة تشكيل الممارسات التي يتّبعها علم الاجتماع في جميع أنحاء العالم. فحين شرعت في قراءة علم الاجتماع العمومي: *اليوتوبيا ومناهضة اليوتوبيا*[1]، أسرني الكتاب ولم أتمكن من وضعه حتى قلبت الصفحة الأخيرة. يحوّل الكتاب حين قراءته كرواية نصف القرن الأخير من مسار بوراووي إلى موضوع للتّحليل في طرحه للحجج والانتصار لعلم الاجتماع العمومي. وفي سعيه إلى مواءمة مشروع إيريك أولين رايت (Erik Olin Wright)[2] مع علم الاجتماع العمومي. يرى بوراووي في علم الاجتماع هذا علما أخلاقيا أو معياريا يمثّل قيما معينة ممكنة التّحقيق (الجانب الطوباوي) وكيف تعرقل تحقيقها (الجانب المناهض لليوتوبيا).

يستخدم ميشال بوراووي تصنيفاً مبتكراً رباعي الأبعاد لعلم الاجتماع: النوعان الأولان (علم الاجتماع المهني والنقدي) (Professional and Critical Sociology) على الصلة بالجمهور الأكاديمي، أم النوعان الآخران (علم الاجتماع العمومي والسياسي) (Public and Policy Sociology) على صلة بجمهور أعرض. ويتألف علم الاجتماع المهني من «برامج بحثية متعددة متداخلة، لكل منها افتراضاته الخاصة، ونماذجه الأصلية (Exemplars) وأسئلته المحدِّدة، وأدواته المفاهيمية والنظريات الناشئة عنه. ويدرس البحث الاجتماعي النقدي الأسس ـ الظاهرية والمتضمَّنة، والمعيارية والوصفية ـ التي تقوم عليها البرامج الخاصة بالبحث الاجتماعي المهني. أما البحث الاجتماعي العمومي فهو يؤسس لحوار بين البحث الاجتماعي وأنواع مختلفة من الجمهور. وهذا ينطوي على حوار مزدوج وعلاقات متبادلة، يعزز فيها الحوار الهادف للتعلم المتبادل الذي لا يدعم ذلك الجمهور فحسب بل يثري أيضًا البحث الاجتماعي نفسه ويساعد على وضع أجنداته. إن مشاركة المجتمع المحلي في تصميم المقترحات البحثية، والنقاش معهم من خلال المحاضرات وورش العمل مع أصحاب المصلحة بهدف نشر النتائج البحثية، هي وسيلة تُمكّن الباحثين الاجتماعيين من التفاعل مع العامّة، وتحديد أهمّية المواضيع المستقبلية للدراسات، سواء على مستوى حاجات المجتمع وعامة الناس، وبالتالي، ثمة مستويات أربعة للبحث الاجتماعي للعموم: أولًا، تفضيل منهج التدخل السوسيولوجي والدراسات الإجرائية (Action Research)؛ ثانيًا، التحدث والكتابة للجمهور عن الموضوع/التخصص الذي يخوض به الباحث؛ ثالثًا، التحدث والكتابة عن الموضوع/التخصص ومدى ارتباطه بالعالم الاجتماعي والثقافي والسياسي المحيط؛ وأخيرًا التحدث والكتابة واتخاذ موقف حيال موضوعات عامة ليس لها علاقة بتخصص الباحث. ويتعين علينا هنا الإقرار بالموقف المعياري للباحث في المجال العام من دون أن يؤدي ذلك إلى التبني غير النقدي للحس العام. أخيراً، إن هدف البحث الاجتماعي للسياسات هو تقديم الحلول للمشاكل التي يواجهها المجتمع، أو شرعنة حلول تم التوصل إليها مسبقاً. وفي كثير من الأحيان يطلب بعض الزبائن (منظمات دولية، وزارات، وإلى ما هنالك) إجراء دراسات خاصة لتدخلاتهم، بواسطة عقد محدد.

يقدّم بوراووي تفسيرا نظريًا لعلم الاجتماع العام بجعله علما عضويًا ومولِّدًا ليوتوبيا حقيقية ملتزمة بالمجتمع المدني. ولا يسعني هنا إلا أن أتّفق معه وأؤيده تأييدا تامّا، ولكن أودّ، في هذه المقالة المقتضبة، أن أدفع ليس فقط في اتّجاه نقد الظالمين نقدا راديكالي بل إلى بحث إمكانية الحوار معهم. تنبع مبرراتي لما أسميتُه «السوسيولوجيا الحوارية» من مجال تدخّلي الأكاديمي ومن موقعي. إذ تتباين اهتماماتي البحثية في علم الاجتماع المعرفة، والثقافة، والدين، والسياسة عن مجالات بوراووي الماركسية و(النقدية) في سوسيولوجيا العمل والتي يستعدي فيها الرأسماليين النيوليبراليين والأطراف الفاعلة في التحوّل إلى مايسمّيه الموجة الثالثة من السوقنة (third-wave marketization).

فأنا نشأت وترعرعت وما زلت أعيش في الشرق الأوسط: منطقة اِبتُلِيَت بأنظمة استبدادية واستعمارية وحشيّة منذ أمد طويل. حيث شاعت هناك عمليات التعذيب الأكثر سوادا والاختطاف السياسي والاغتيالات وانتزاع الملكية. مما يثير تساؤلات تحوم حول: كيف لأحد أن يتعامل مع وضع تكون فيه الأنظمة الاستبدادية قد رسخت هيمنة ثقافية وقامت أيديولوجيًا بعمليات غسل للأدمغة حتى تتحكّم في عقول قِسم كبير من الناس وتُوهمهم بالاعتقاد في ميزة الاستبداد لتحقيق الاستقرار؟ وكيف السّبيل إلى التعامل مع الصراع العربي الإسرائيلي حين يصبح بعض الإسرائيليين، أشقاء أولئك النّاجين من المحرقة، مستوطنين استعماريين يصادرون أراضي الفلسطينيين ويستولون عليها؟ وهل يمكن أن نحقّق عدالة تاريخية تصالحية دون آليات تعدّدية أوسع نطاقا للعدالة الانتقالية؟

وبحكم حساسيته تجاه المكروبين من البشر الذين يرزحون تحت الهيمنة ومعاناتهم، لطالما أكّد مايكل بوراووي على أن مهمّة علم الاجتماع تكمُن في الانخراط في قضايا المجتمع المدني ومعاضدته ضدّ هيمنة الدّولة والسّوق على حد سواء. وهذه لعمري مسألة جوهرية تماما. لكنني أودّ أن أتبع هذه المهمة بمهمّتين إثنتين أخرتين. تتمثّل الأولى في توسيع المهمة الاجتماعية متجاوزة المجتمع المدني لتحتضن المجال المدني (civil sphere) بالمعنى الذي عرضه جيفري ألكسندر (Jeffrey Alexander)[3]. يذكّرنا ألكسندر أن المجتمع المدني لا يعدو أن يكون مجالا واحدا من بين مجالات أخرى يدور ضمن نظام اجتماعي أوسع حيث ضرورة اندراج الأسرة، والجماعات الدينية، والجمعيات العلمية وجمعيات البزنس ومؤسسات الجماعات الإثنية والإقليمية المترابطة جغرافياً، وذلك لقيامها كلّها بإنتاج مفاهيم للخير العام وتنظيم العلاقات الاجتماعية وفقًا لمُثُلٍ وقيود مختلفة. يبرز هذا التوسيع لمهمتنا في غاية الأهمّية إن نحن ابتغينا المضيّ في اعتبار أنفسنا أوصياء على هذا المجال المدني وحماة للمُثل الديمقراطية الليبرالية.

أمّا المهمة الثانية فتنطوي على الوساطة مع مختلف المجالات غير المدنية وذلك بالانخراط في إقامة الحوار معها. نحن في حاجة إلى الاصغاء باهتمام لأولئك الرافضين، جزئيًا أو كليًا، تبنّي المُثل التي نَصْبُو إلى تعزيزها. نشير إلى أنه يُحسب لبوراووي إدراكه لأهمية هذا الأمر حين إشادته بكتاب آرلي راسّل هوتشايلد (Arlie Russell Hochschild) المعنون *غرباء في أرضهم*[4] وكيف قفزت المؤلفة على «جدار التّعاطف» (empathy wall) مع مناصري حزب الشاي في ولاية لويزيانا الذين تحوّلوا إلى أشدّ المؤيّدين لترامب معبّرين عن استيائهم إزاء العولمة ومُعْربين عن رؤيتهم لأوجه عدم المساواة الاجتماعية. فلنستمع قبل الحكم عليهم، على سبيل المثال، إلى أولئك الذين يرتعبون من المهاجرين السّوريين والأفارقة القادمين إلى أوروبا. وأودّ هنا التأكيد

>>

"علم الاجتماع العام ليس مجرد ادعـاءات عقلانية أو الحجج المعيارية التي تمت مناقشتها في المجال العام ،إنه يتعلق أيضًا بفهم المشاعر والمحافظة الأخلاقية على الآخر"

على قدرتنا على فتح باب الحوار والوساطة مع المجالات غير المدنية باعتماد أساليبنا المعيارية، والافتراضات المسبقة، والالتزامات الواضحة. أدعو هنا إلى نظريّة نقد موقفيّة (situated critical theory) مقابل نظرية اجتماعية نقدية راديكالية. نظرية قادرة أيضا، وأثناء انتقادها للسلطة في الآن ذاته، على الإنخراط في حوار مع ذات القوى التي توجّه إليها الانتقادات. هذه طريقة يمكن لعلم الاجتماع استخدامها مع تبنّى المشروع الليبرالي الشامل/ الكلاسيكي، لاستيعاب (نسخة محسّنة ومعدّلة من) الليبرالية السياسية لـجون راولز[٥]، أي العمل على الأخذ بعين الاعتبار مسألة التّعددية (المفاهيم المختلفة لما هو خير) داخل مجتمعنا، تعدّدية تؤلّف بين كل ضروب التنوع ولكن أيضا تحافظ على التماسك الاجتماعي (مفهوم موحّد للعدالة) ضمن المجتمع الواحد.

أعتقد وبصورة أعمّ - وأنا متأكد من أن بورواي سيؤيّدني في ذلك – أنّ مسألة علم الاجتماع العمومي لا تتعلق فقط بالادعاءات العقلانية، أو ليست مجرّد حجج معيارية تتمّ مناقشتها في المجال العام، بل إنها تتعلق أيضًا بالعاطفة وادارة تلك العاطفة. ونقصد بذلك كيفية فهم تلك العواطف والمشاعر الإنسانية التي تختلج الآخر، وكيفية تناول ليس فقط الحساسية الأخلاقية ولكن أيضا الضجر الأخلاقي (moral enervation) أي وهن الآخر، والذي يجعله أحيانًا أعمى البصر عن معاناة الآخر الاجتماعية. من الواضح جدًا أنّ *السوسيولوجيا الحوارية* مسألة حساسة ليس فقط لكيفية تبرير الناس لأفعالهم أخلاقياً بل أيضًا لكيفية أخذ علماء الاجتماع لتلك المعاناة على محمل الجد والتعامل معها بوصفها هرمنيوطيقا الوجود، في استعارة لعبارة سيلفيا كاتالدي Silvia Cataldi.

أما في تناول مسألة الأخلاق في المنطقة العربية حيث درجات التديّن العالية، يعدّ الدين أحد أهمّ المصادر للأخلاق. وتلك قضية كبيرة يدركها الجميع لكن يتم التّغافل عنها، عمدا أو دون قصد، ولـم ينتبه لها في أدبيات علم الاجتماع، بينما يتيقّظ لها حين يتعلّق الأمر بالعنف السياسي. وهذا الأمر مثير للاهتمام إذ لا يخص العالم العربي والشرق الأوسط وإسرائيل فحسب بل اكتسى الدّين أيضًا أهمية بالغة في أمريكا اللاتينية (نورد مثال المسيحية الكارزماتية الجديدة- الخمسينية في البرازيل) وما يتجاوزها. لذلك، تستدعي الضرورة إلى التحلّي، بوصفنا علماء اجتماع، بمزيد التواضع الفكري والتفكير حول كيفية الإقرار بوجود تشكّلات نخبوية مختلفة في تضاعيف مجتمعنا ويشمل ذلك الأشخاص المتدينين المنبوذين أو الذين كانوا موضعاً للاحتقار لفترة طويلة، والذين يُصوّرهم علماء الاجتماع المناهضين لرجال الدين بأنهم متخلّفون ورجعيون.

أخيرًا، يبيّن كتاب السيرة الذاتية/التحليلي العميق لبوراووي صراحة ودون موارية إحدى مهام علم الاجتماع راهنا والتي تكمن في تعزيز الرؤى الطوباوية. وإنني لأدرك أنّها ليست مهمة سهلة ودونَها خرطُ القتادِ في ظلّ فقدان فكرة الاشتراكية لمصداقيتها. ولكن ليس أمامنا خيار إلا لننخرط وبتعبير لبوراوي: ‹›يغدو الناس علماء اجتماع «لا ليصبحوا أثرياء بل ليجعلوا من هذا العالم عالما أفضل ... وأكثر مساواة، وأكثر حرية، وأكثر تعاونًا.» (صفحة ٢ من كتابه) وإنّي لأعتقد أن بوراووي لم يجعل العالم أفضل فكرًا فقط، بل ممارسةً أيضًا: بسخائه الجزيل بالوقت الذي يقضيه مع طلابه ومع الجماعات العلمية بشكل أوسع. وأنا مدين له كثيرًا إذ أخذ بيدي وغمرني بعناية توجيهه حين تحوّلات أبحاثي السوسيولوجية ليس فقط من تحول أبحاثي ذات الطابع المهني (النشر العلمي) والسياساتي إلى علم الاجتماع العمومي بل تحوّلها من علم الاجتماع الذي حدّدته المشكلات المحلية والإقليمية إلى علم الاجتماع الذي اشتمل القضايا الكونية. كما شجّعني على التّرشح للانتخابات لمنصب في اللّجنة التنفيذية لـلجمعية الدولية لعلم الاجتماع ، ومن ثم نائبا رئيس لشؤون الجمعيات الوطنية وأخيرا رئيسا لهذه الجمعية. له طول الحياة!! ■

توجّه كل المراسلات إلى ساري حنفي على البريد الإلكتروني <sh41@aub.edu.lb>

[١] *Public Sociology: Between Utopia and Anti-Utopia* (Polity, 2021)

[٢] Erik Olin Wright, *Envisioning Real Utopias* (Verso, 2010)

[٣] Jeffrey C. Alexander, *The Civil The Civil Sphere*, 1st edition (Oxford: Oxford University Press, 2008)

[٤] Arlie Russell Hochschild, *Strangers in Their Own Land: Anger and Mourning on the American Right* (New York: The New Press, 2016)

[٥] John Rawls, *Political Liberalism* (New York: Columbia University Press, 1993)

> التأمّل والتفكير في مايكل بوراووي وفكرة السوسيولوجيا العمومية

بقلم **مارغريت ابراهام**، جامعة هوفسترا، الولايات المتحدة الأمريكية

احتجاج ل"احتلوا وول ستريت" في نيويورك.
تصوير مارغرات أبراهام 2011

لقد اتّسم التاريخ الطويل لعلماء الاجتماع والأخصائيين الاجتماعيين والنشطاء الباحثين والنسويات والأشخاص الملونين بربطه البحث بالبحث الإجرائي والانخراط مع الجماهير. وتنطوي مثل هذه البحوث على تناول قضايا عدم المساواة، والفصل العنصري، والاستغلال، ومسألة القمع، والاستلاب، والحروب، والعنصرية، والاستعمار، والرأسمالية، والديمقراطية، والعنف القائم على الجندر، وحركات العدالة الاجتماعية والتغيّر الاجتماعي.

وغالبا ما تمّ محو تاريخ المشاركة الاجتماعية مع الجماهير والاندماج معها في الولايات المتحدة، أو تمّ إبعادها إلى هوامش المحك الاجتماعي. فبينما مثّل المنظرون الكلاسيكيون ماركس وفيبر ودوركهايم جزءًا من البانتيون الغربي، ظلّ كل من علماء الاجتماع الرّواد والباحثون الاجتماعيون والنشطاء - لا سيما دبليو إي بي. ديبويز (Du Bois) وهاريات مارتينو (Harriet Martineau) وجين آدامز (Jane Addams) وآنا جوليا كوبر (Anna Julia Cooper) و أيدا والز بارنات (Ida B. Wells-Barnett) و ماريان فيبر (Marianne Weber) –وحتّى وقت قريب جدًا، غائبين نسبيًا عن المشهد السّوسيولوجي. نشير إلى الدور المحوري الذي أدّته ركائز القوة والامتياز وأنظمة إنتاج المعرفة وتوزيعها واستهلاكها تاريخيًا في إنشاء المبادئ وتحديدها بطرق تتواءم مع المجال المهني النظري والمنهجي المركزي لعلم الاجتماع القائم أساسا على صورة الغربيّ الأبيض وصورة الذكر السائدة. ممّا أدّى إلى استبعاد المعرفة النظرية والمساهمات المنهجيّة لعلماء الاجتماع البارزين المنخرطين مع الجماهير، والباحثين في مجال علم الاجتماع، والعاملين خارج حدود القواعد السوسيولوجية مع التقليل منها إلى أدنى حد.

أعاد مايكل بوراووي (Burawoy) من خلال الخطاب الرئاسي الذي ألقاه سنة ٢٠٠٤ أمام الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع (ASA) تعميم مصطلح *علم الاجتماع العمومي* في الولايات المتحدة. حيث قام بتحديد أنواع المعارف الاجتماعية (العمومية منها، والمهنية، والخاصة بالسياسات، والنّقدية) وتعريف علم الاجتماع العمومي باعتباره دافعًا لممارسة علم الاجتماع الحامي والمعزّز لكلّ العلاقات الاجتماعية التي تجعل الناس بشرًا. أعاد باروووي تنشيط المناقشات والحوارات حول الغرض من هذا الاختصاص. وباعتباري باحثة نَسويّة في مجال البحوث والعمل وعالمة اجتماع على الهامش، ودائمة الانخراط بنشاط منذ تسعينيات القرن الماضي في تحويل مسألة العنف المنزلي من كونه مشكلة خاصة إلى قضية عامة، أشير إلى إقرار الاجتماع السنوي للجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع لسنة ٢٠٠٤ أنّه واحدًا من أكثر مؤتمرات الجمعية انخراطا من الناحية الاجتماعية وأكثر شمولاً ومشاركةً للجمهور. وعلى الرغم من إدراك الجميع الجيّد للإسهامات العميقة لعلماء الاجتماع الأمريكيين في المشاركة الاجتماعية مع الجمهور وكذلك اسهامات الجمعيات مثل جمعية دراسة مشاكل المجتمع ومنظمة علماء الاجتماع من أجل المرأة في المجتمع، فقد صدّى طرح

>>

بوراووي ودعوتُه إلى النهج في علم الاجتماع العمومي ووَقَعَ عرضُه لدى المعنيين مَوْقِعاً! لقد اعترض عرض بوراووي قِصر النظر المهني ووضع المعرفة السوسيولوجية موضع السؤال: لأجل من ولماذا؟

يعتقد بوراووي أنّ علم الاجتماع محفّز للتغيّر الاجتماعي وهو في جوهره علم اجتماع انسيّ النزعة، عميقة جذوره يسعى إلى الاسهام وعلى نحو مجدٍ في إقامة عالم أفضل بأقلّ المعاناة الاجتماعية المنشأ. ويتوجّب هذا بدوره الانخراط في سوسيولوجيا تكافح في التصدّي لمشكلات العالم الحقيقي من اقصاء اجتماعي وانعدام المساواة في الثروة والقدر الهائل من تفاوت الفرص و السّلعنة والعالم المتمركز على السوق.

تنطوي المهمة الرئيسة لعلم الاجتماع في المشاركة بشكل استباقي في النضال من أجل حماية المجتمع من الخراب الذي حلّ بالمجتمعات والذي تعيثه أصولية السوق. يسعى بارووای إلى إقامة نموذج علم الاجتماع عمومي قادر على بناء تحالفات مع المنظمات المدنية والحركات الاجتماعية والتماس دعمها. مع تأكيده أيضًا على الطلاب بوصفهم جمهورا بالغ الأهمية حيث تكمُن أهميَّة المجتمع المدني وتَبرُز مدى الإضافة النوعيّة التي يُحدثها كل مُكوِّن من مكوناته. فلا يمكن قصر علم الاجتماع على الدوافع البراغماتية للناشطين وحدهم، بل يتعيّن عليه مراعاة وبنفس القدر القيم من أجل فهم أفضل للعالم الإنساني والاجتماعي. يجب أن تتصدّر المعرفة البالغة الأهمّية للوسائل وكذلك «المعرفة الانعكاسية» حول الغايات التحليلَ الذي يضطلع به علم الاجتماع. علاوة على ضرورة علم الاجتماع العمومي الاسهام في الحوار العام حول القيم والأهداف بالإضافة إلى إمكانية تحقيقها. تستلزم هذه المهمّة «الترابط العضوي» الذي يرتهن فيه ازدهار كل نوع من المعارف – العامة منها والمهنية والمعنية بالسياسات، والمعارف النقديّة - على نجاح الجميع.

تعرض مقالات بارووای التي كتبها في العشرية الممتدّة بين سنتي ٢٠٠٤ و٢٠١٤ التطور الذي شهده عمله بوصفه حركة من علم الاجتماع العمومي نحو علم الاجتماع كوني. وتوفّر كلا السوسيولوجيتين المسار الذي بدأ بتسمية هيمنة علم الاجتماع المهني في الولايات المتحدة ومواجهته ثمّ انتقل إلى فهم أكثر أهمية لانخراط أعمق في التحديات العالمية التي يفرضها عالم لا متكافئ. يدرك بارووي في مناصرته لعلم اجتماع كوني يقوم على أسس قوية في أنظمة المعرفة المحلية والوطنية إدراكا عميقا لقبضة الهيمنة التي يُحْكِمها الشمال العالمي على مسار إنتاج المعرفة، ومحذرًا ضدّ الحلم الوضعي بتوحيد العلوم الاجتماعية لأن ذلك سيسهم حتما في احكام قبضة الأقوياء والخضوع لسيطرتهم، وبالتالي مواجهة مخاطر الغرب «وتعزيزه لمصالح إمبريالية جديدة». ويعرض بارووي عوضا عن ذلك مشروعًا بديلاً يتوخّى دمج علوم الاجتماع وطنية معًا في نسيج جمعيات إقليمية متكامل تتحوّل بعد ذلك لتؤدّي إلى الحوار والتوليف التامّ لعلوم الاجتماع العالمية. وفي هذا السياق يعدّ حوار كوني، المشروع الذي وضعه في الجمعية الدولية لعلم الاجتماع أحد السبل التي تجري فيها حوارات ومناقشات في مجال علم الاجتماعي الدّولي في جميع أنحاء العالم حول مجموعة من القضايا المعاصرة.

وأنت تقرأ كتاب بارووي الأخير والمعنون *علم الاجتماع العمومي: اليوتوبيا ومناهضة اليوتوبيا* الصادر بعد عشرين عاماً تقريباً من خطابه الرئاسي للجمعية الدولية لعلم الاجتماع الذي ألقاه سنة ٢٠٠٤ وبعد عقد من الزمن بعد خطابه الرئاسي للجمعية الدولية لعلم الاجتماع سنة ٢٠١٤ فإن ما يطرأ في ذهنك هو الثبات في المثابرة والشغف والقدرة على الاقناع حول التفاؤلات السوسيولوجية والعوائق التي تنطوي عليها. تبرز وجهة نظر سي دبليو ميلز (Mills) القائلة بأن علم الاجتماع يكمن في صميم التقاطع بين البيوغرافيا والتاريخ جليًا؛ ولكن أيضًا ولو بشكل غير مقصود، تتجلّى أهمية العبارة النسوية أن «الشخصي هو سياسي» واضحة. والأبرز من ذلك كلّه الالتزام الصريح بالماركسية ونقدها والتوكيد على اسهامات دي بويز (Du Bois) العميقة المتعلّقة بعلم الاجتماع في ربطه علم الاجتماع بالتغير الاجتماعي. يؤلّف بارووي تجاربه الخاصة ويتقاطع معها بدقّة مع تحليله لعلم الاجتماع العمومي والمهني والسياسي والنقدي. وفي غزله للتشابك بين البيوغرافيا والتاريخ تُبرِز رحلاته السوسيولوجية عبر العالم أن التجارب الحياتيّة جزء لا يتجزأ من الخيال السوسيولوجيي. تتبع هذه المذكرات مسيرته الخاصة والصريحة والدقيقة. بوصفه عالم اجتماع، وطالبا، وباحثا، وأستاذا، ومسؤولا، وصديقا، ومتعاونا، وناشطا، ورئيس جمعية مهنية، ثابت الالتزام بالتفكير في علم الاجتماع و (إعادة) تمركزه لمواجهة التحديات التي يواجهها الاختصاص والتحديات المجتمعية لعصرنا. وهنا يسائل بارووي ويستقرئ ويوضح مخاطر علم الاجتماع ومدى أهميته.

واليوم، وبينما نواجه تأثير الجائحة العالمية، وصعود الاستبداد، ونمو الأصولية الدينية، وانتشار الأخبار المزيفة، وتوسّع وسائل التواصل الاجتماعي، واستهلاك الجماهير للمعلومات المضللة الضخمة من قبل الرأي العام القابل للتلاعب والمنحازة غالبا ضدّ الصالح العام، نحن مضطرون مرة أخرى إلى التفكير فيما يتطلبه الأمر للوفاء بوعود علم الاجتماع. ربما يكمن الأمل في جيل جديد من علماء الاجتماع والنشطاء، المنكبّين على دراسة التاريخ، والمطوّرين للعلوم الاجتماعية من خلال نظرية صارمة، مع الالتزام بالعملية التعليمية والنشاط البحثي في سعي إلى معالجة التفاوتات المستمرة والناشئة. نحن ندرك تماما أنّ إثارة الإشكاليات والتفسيرات غير كافية. تدعونا الضرورة إلى إثارة الأسئلة وإلى التصوّر والاقتراح والسعي وإدارة السبل لعكس مسار التفاوتات نحن بحاجة إلى التمسك بوعد علم الاجتماع بثبات لبناء عالم أفضل وعادل ومتساوٍ. ■

توجّه كل المراسلات إلى مارغريت ابراهم على البريد الإلكتروني
<Margaret.Abraham@Hofstra.edu>

> التّفكير في مفهوم التّقاطعية محلّيا وعالميا

بقلم **كاثي دايفس**، الجامعة الحرّة بأمستردام، هولندا و**هيلما لوتز**،جامعة يوهان فولفغانغ غوته، فرانكفورت، ألمانيا

مسيرة نسائية في آذار 2020، واشنطن العاصمة، الولايات المتحدة
المصدر: راينج ثيرمالز / فليكر.

تناول مصطلح التقاطعية التقاطعات التي تحدث في جميع أشكال الهياكل الاجتماعية والهوّيات وتشابكها. وهو مصطلحٌ ابتدعتْهُ كيمبرلي كرينشو (Crenshaw) سنة ١٩٨٩ يَستخْدِم مجازَ مفترق الطرق وهو مكان عال التردّد حيث يتعرض الأفراد من مختلف الأجناس والأعراق والتوجّهات الجنسية والطبقات الاجتماعية أو الهويات العرقية وبشكل دائم لخطر الاصطدام. لقد استُخدمت هذه الاستعارة بنجاح في التّحليلات والجدل القائم حول التفاوتات الاجتماعية لقدرتها على التعبير على التقاطعات الحاصلة في الأشكال المختلفة للتموضعات الاجتماعية والتمييز المتمثّلة في التفرقة العرقية والجندرية. وضعت التقاطعية من خلال استعاضتها عن نهج «المكوّن الإضافي» لفئات الفرْق لعلاقات القوة (الجنس، والطبقة و «العرق»)، أجندة جديدة تتمثّل في التقاط كِلا من النتائج الهيكلية والديناميكيات العملية للتفاعلات بين ثلاثة محاور أو أكثر من القوّة والتبعية.

نشير إلى أنّ فكرة كرانشو للتقاطعية بين النظم الاستبدادية لقت استجابة عالمية أثناء مؤتمر الأمم المتحدة العالمي لمكافحة العنصرية[1] المنعقد في ديربان، جنوب أفريقيا سنة ٢٠٠١. وراهنا، غادر مفهوم التقاطعية منذ فترة طويلة المجالات التي نشأ في تعاريفها وهي دراسات الجندر، ودراسات العرق النقدية والقانون ليتمّ استخدامه في مجال علم الاجتماع والعمل الاجتماعي، والدراسات الصحية، والتعليم، والجغرافيا الاجتماعية، والأنثروبولوجيا، وعلم النفس، والعلوم السياسية، ودراسات الأدب، وحتى مجال الهندسة المعمارية. وغدت *التقاطعية* في مجال دراسات الجندر كلمة أساسية للبحث في عروض الدورات التدريبية ضمن تصميم برامج الدراسات العليا والجامعية. كما تزخر المؤتمرات والأعداد الخاصة من المجلات الأكاديمية ومنشورات الكتاب بالموضوعات المخصصة للتقاطعية. ويمكن للمرء الآن الحديث عن مجال «دراسات التّقاطعية».

و في تنقّل مفهوم التقاطعية من الولايات المتحدة إلى أوروبا تمّ تناولها بالبحث و تبنّيها في أجزاء كثيرة من العالم. و أثناء تلك الرحلات شهد المفهوم تغيّرا وتمّ تكييفه مع الظروف المحلية والسياقات التاريخية. في أوروبا. فعلى سبيل المثال، أصبح العرق والدين فئتا فرقٍ أساسيتين لتحليل التمييز ضمن السّكان المهاجرين. أما في الهند، فنَستشفُّ تضمين «الطبقة» (caste) كفئة ضرورية لتفهّم أوجه التّفاوتات الاجتماعية. وبرزت في الآونة الأخيرة تباينات بين الأجيال في كيفية تصوّر مفهوم التقاطعية - أو كيف ينبغي تصوّرها. وفي هذا السياق أثرت الحركات الحديثة مثال «حياة السود مهمة» (BLM)على المناقشات المتعلّقة بالعرق ومكافحة العنصرية، ممّا أسهم في تعزيز العمل الإبتكاري في مجال التقاطعية.

يتطلب فهم هذه التطورات النظر إلى امتداد تاريخ التقاطعية من خلال عدسة الحاضر. ما الذي يعيد العلماء النّقديين والناشطين إلى مسألة التقاطعية مرارًا وتكرارًا؟ ما الأمر في قدرة مفهوم التقاطعية المتواصلة على إعادة ابتكار نفسه ؟ وأخيرًا كيف يتمّ إعداد مفهوم التقاطعية وكيف يعاد العمل به ونشره لمختلف الأغراض وفي مناطق مختلفة؟

تحتلّ هذه الأسئلة حيّزا جوهريًا في محتوى دليل روتليدج لدراسات التقاطعية (*Routledge Handbook of Intersectionality Studies*) الذي نقوم حاليًا بتوليفه و اعداده للنشر سنة ٢٠٢٣. نذْكر أنّ هذا الدليل يشمل طائفة واسعة من الموضوعات في مجال دراسات التّقاطعية لمساهمين دوليين ومتعدّدي التخصصات. و في سياق هذا العدد من حوار كوني التمسنا العديد من المؤلفين توفير نسخة مختصرة من الفصول الخاصّة بهم. و تمثلت النتيجة في نظرة عامة لبعض الطرق التي استُخْدِمت من خلالها التقاطعية لفهم التفاوتات الاجتماعية والثقافية والجيوسياسية.

تبدأ آن فينيكس Ann Phoenix المناقشة من خلال النظر في الطرق التي ظلّ فيها تاريخ الاسترقاق والاستعمار هاجسا يقضّ مضجع الحاضر ويطارده، مبرزة سبب حاجتهم لأن يكونوا جزءًا من طريقة تفكيرنا في مسألة التقاطعية عالميًا. أما باربارا دجيوفيانا بالًا فتواصل Barbara Giovanna Bello إلقاء نظرة تقاطعيّة على اثنتين من أبرز الحركات الاجتماعية راهنا و هما حركة حياة السود مهمّة وحركة

<<

«هاشتاغ أنا أيضا» #MeToo - والتي انطلقت من الولايات المتحدة بل وتوسّعت لتصبح ظاهرة عالمية منذ ذلك الحين. أمّا ورقة إثيل تونغوهان Ethel Tungohan فتنكبّ على ابراز كيف أن التقاطعية أمر ضروري لفهم حركة العاملين في مجال رعاية المهاجرين الأخيرة في كندا حيث بدت الضرورة جليّة للحركات الاجتماعية المختلفة لتوحيد قواها من أجل تقويض القمع والاضطهاد. وفي التطرّق إلى الحوارات التي برزت في مجال دراسات التقاطعية يلقي أموند رايك هوفارت Amund Rake Hoffart نظرة نقدية على البحث عن استعارة تقاطعية خالصة من شأنها ازالة جميع المشكلات المتعلقة بالمفهوم، معتبرا بدلا من ذلك «الحاجة إلى الفوضى» في البحوث المعنيّة بالتفاوتات المتداخلة وبأشكال تكوين السلطة. و نختتم (أنا كايثي دايفس و هلما لوتز (Kathy Davis and Helma Lutz) بتناول النداء العالمي لوضع منهجية البحث في التقاطعية. و نوضّح كيف يمكن للإجراء البسيط المخادع المتمثّل في «طرح السؤال الآخر» مساعدتنا في تحليل الاستراتيجيات التي يستخدمها الأشخاص لمقاومة السلطة في الحياة اليومية أوالتلائم معها.

يُبرز هذا الحوار في مجمله بعض الطرق التي بدت فيها مسألة التقاطعية ذات أثر في كيفية تفكير العلماء والنشطاء على حد سواء في التفاوتات و التحولات الاجتماعية سواء محليا او عالميا. ■

توجّه كل المراسلات على البريد الإلكتروني إلى
كاثي دايفس <k.e.davis@vu.nl>
وهيلما لوتز <lutz@soz.uni-frankfurt.de>

[1] عنوان المؤتمر كاملا : مؤتمر الأمم المتحدة العالمي لمكافحة العنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من تعصّب. المترجمة

> الماضي التّقاطعي يقضّ مضجع المستقبلات التّقاطعية

بقلم **آن فينيكس**، جامعة كوليدج لندن، المملكة المتّحدة

محتجة في واشنطن العاصمة، تحمل يافطة تظهر جورج فلويد، المصدر:
Obi - @pixel6propix/Unsplash, Creative Commons

قلّة هم الذين يجادلون راهنا فكرة مكانة التقاطعية المحورية في فهم العلاقات الاجتماعية والممارسات الاجتماعية اليومية وكيفية اعتمال المجتمع وآليات تشغيله. يوفّر انشغال التقاطعية بالطرائق التي يتم بها وضع الجميع وبشكل متزامن ضمن فئات اجتماعية متعدّدة مثل الجندر، والجنسانية، والطبقة الاجتماعية، والتمييز العنصري توجّها لتحليل عدم المساواة، وعلاقات القوة، وتعقيدات التموضع الاجتماعي. كما تبرز التقاطعية كيف تُنْتَزع مركزية أيّ من الفئات الاجتماعية بفعل تقاطعها مع فئات اجتماعية غيرها وتغدو منتزعة المركزية بآليات تلك الفئات وعلائقيتها وبموقعها التاريخي.

ينخرط علماء الاجتماع بشكلٍ متزايد في المفاهيم التاريخية ذات الصلة بكيفية تشكّل الاسترقاق والاستعمار التاريخ العالمي للحاضر. لكن، بينما يسمح التنظير بأن التقاطعية متموْقعة تاريخيًا بفهم العمليات المتناقضة المحتملة التي تدعم الانقسامات الاجتماعية وعمليات الادماج والاقصاء نظلّ غير مدركين ولا نعرف إلا أقل القليل عن الطرق التي تكون فيها التواريخ جزءًا من التقاطعية. يجادل هذا المقال أهمّية الطرق التي تُطارد فيها التواريخُ الزمن الحاضر لنظريات التقاطعية.

> المطاردات التاريخية

أضحت الطرق التي تؤثّر فيها المطاردات التاريخية في العلاقات الاجتماعية المعاصرة وتنفجر نفسيًا اجتماعيًا بطرق لا يمكن التنبؤ بها بديهية سنة ٢٠٢٠ من خلال شرارة براكين الاحتجاجات العالمية ضد العنصرية والتاريخ العنصري القمعي إثر نشر مقطع الفيديو المسجّل لمقتل جورج فلويد George Floyd على يد شرطي في الولايات المتحدة. أعاد مقتل جورج فلويد عملية تنشيط الدّعم لحركة «حياة السود مهمة» (Black Lives Matter) وحشده وتوسيع نطاقه. تجلّت حقيقة مطاردة التواريخ

>>

المطاردة المتقاطعة تظهر منظور جديد عن الماضي و عن التحرّك في المستقبل
المصدر: Hakase/iStock

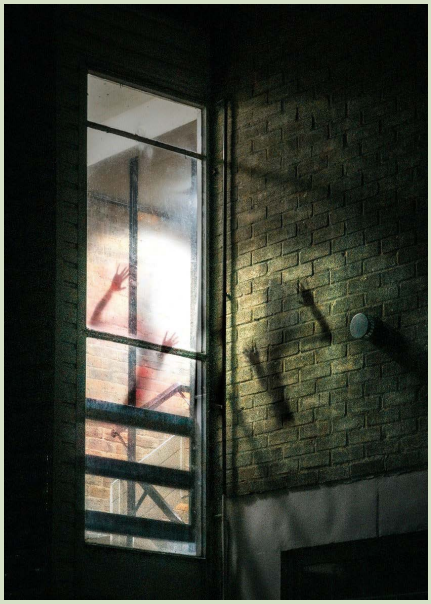

المصدر: توماس ويلموت، كريايتف كومونز
Unsplash, Creative Commons

العنصرية للاستعمار والاستعباد للعديد من المجتمعات عارية من خلال ردود الفعل على مقتل جورج فلويد (احدى جرائم القتل المتعددة لشخص أسود على يد الشرطة البيضاء)، والتي ركزت على قرون من الاضطهاد العنصري واستهدفت بشكل عفوي رموز ذلك التاريخ القمعي بما في ذلك تماثيل المستعبدين والمستعمرين. وباتت التواريخ التي بدت مدفونة منذ فترة طويلة أو غير واعية أو غير مدرَكَة تطارد المشهد الاجتماعي المعاصر. أدت هذه التواريخ التي تكشّفت من جديد إلى حملات ترمي إلى إحداث تغيير في البنية الاجتماعية وإلى تدفّق سيل من الشهادات الشخصية.

من المؤكّد أن مفهوم المطاردة التاريخية والمفاهيم المضمّنة فيها ليس بالأمر الجديد. فلطالما استكشفتها مظان الروايات والأعمال الأكاديمية التي تعنى مثلا بالطرق التي اعتُبِرت ضمنها مِحَنُ الهولوكوست وويلاتُ الاسترقاق جزءًا من عملية التواصل المتناقلة عبر الأجيال، وفي شكل المحنة السردية، تخلّ بحياة نسل من عانوا تلك الويلات دون تحديد التخبّط في تلك المحن عامّة. نشير إلى أنّ ردود الفعل المثارة على مقتل جورج فلويد تنير لنا السبل التي يبدو فيها التاريخ الجماعي تاريخا فرديًا كذلك، ونستشفّ منها عودة عناصر مغيّبة ومسكوت عنها ضمن الماضي لتطفو من جديد أو حفر في العناصر المترسبة لتظلّ ثابتة في الحاضر. بل أكثر من ذلك، تعتبر التواريخ الجماعية جوهرية في كيفية تخيّلنا للمستقبل وللمستقبلات المحتملة التي بدتْ واضحة في حيّز الوجود.

يعمّق تنظير الشبح التاريخي من منظور تقاطعيّ، إمكانيات تحليل الفئات الاجتماعية ويقوم التنظير بذلك بإثارة أسئلة حول كيفية ترابط التواريخ الشخصية والوطنية وترسّبها في تعاريف الفئات الاجتماعيّة كلّها محدثا بذلك انقسامات وسمات مشتركة بين النّاس. يتوجّب مثل هذه التفهم المؤقّت، على سبيل المثال، لمسألة ماذا يعني أن تكوني امرأة سوداء البشرة من الطبقة العاملة في بلدان الأقلية العالمية، التّوليف بين التواريخ المتناقلة عبر الأجيال والتواريخ الوطنية التي تتجنب ضمنيًا الفئات الاجتماعية الأساسيّة. وبالتّساوي، فهو يشجع على التركيز على كيفية أن تلك التواريخ تعدّ أيضًا جزءا غير قابل للانفصام من حياة الرجال البيض من الطبقة الوسطى في تلك البلدان نفسها.

يتيح التركيز التّقاطعي حول المطاردية (hauntology) الباحثين في اثارة أسئلة أكثر تناسبا وتنويرا حول المسائل الاجتماعية. كان من الواضح على الفور مثلا ومن خلال جائحة كوفيد ١٩ تجلّي الواقع المؤلم المتمثّل في تقاطع الجندر، والأمة، ووضع الهجرة، والحالة الاجتماعية والاقتصادية، والإعاقات، والسنّ، والإسكان، والمهنة جميعها حتّى تنتج معدلات اعتلال ووفيات غير متكافئة.

غير أن ما يثير الدّهشة القيام بالبحث عن عديد التفسيرات المتّصلة على سبيل المثال، بالظروف المعيشة، بطرق كيّفت تلك التناقضات حسب احتياجات كلّ فرد وأبرزت الاختلافات الثقافية. بينما يكتسي تحديد العوامل المرتبطة بمعدلات الوفيات أهميّة بالغة، وبالمثل من الأهمّية إدراك أن الارتباطات الموجودة يستند إلى مستويات البحث فيه، والذي يستند بدوره إلى الفهم القائم مسبقًا. من المرجح أكثر أن تسفر إثارة السؤال حول التواريخ التي أنتجت مواقف وممارسات معينة وكذلك حول السياق الاجتماعي العاطفي الذي يستخدم فيه التعبير، عن اعداد تحليل يرمي إلى إقرار المطالبات بالعدالة الاجتماعية والتدخلات الهادفة البنّاءة. ومن المرجح أيضًا تعامل هذه الأسئلة بجدّية مع الطرق التي تفضي تقاطعات المواقف الاجتماعية المعينة من خلالها إلى استفحال أوجه عدم المساواة القائمة أصلا في مجتمعات الأقليات العالمية.

> مطاردة مروعة للمستقبلات التّقاطعية

لا تعدو أن تكون المطاردة التقاطعية للحاضر مؤقتة لا فقط لتبيانها ارتباط الماضي بالحاضر بل لأنها تحثّ على التحرّك المستقبلي. وهذا لعمري حقيقة سواء انفجر الماضي الفوّار في الحاضر كما الحال مع عودة ظهور حركة «حياة السود مهمّة» أو ما إذا ظلّ وجودًا كئيبا غير مسمّى. تنتج عن تلك المطاردة في كلتا الحالتين أوضاعُ ذاتٍ مضطربة تستدعي انتاج سرديات جديدة وإذنْ رؤى مستقبلية جديدة. وعليه، سيكون لهذه الأحداث التي اكتست أهمية تاريخية بالغة أثرٌ في الممارسات اليومية إذ ستخترق العلاقات الاجتماعية مقيّدةً بذلك المستقبلات المحتملة أو ميسّرة لها. يدفع مثل هذا الثوران الناتج حين انبثاق المطاردة في الوعي إلى المبادرات المستقبلية والمطالبات بمستقبلات أكثر استحسانا وأشدّ جاذبيّة. وفي السياق تسهم التقاطعية في تفسير كيفية اختلاف ردود أفعال الأشخاص من فئة اجتماعية معينة وآمالهم وتباين رؤاهم عندما يغدو للتواريخ المؤلمة وعي بذاتها.

لقد شهدت بلدان مختلفة في السنوات الأخيرة سرديات جندرية/مقترنة بالانتماء

طير السانكوفا الغاني. كلمة "سانكوفا" في لغة التوي تعني "عد الى الماضي و احضر ما هو مفيد". شعب الأكان يرسمونه كقلب، او طير أسطوري. أقدامه متوجهة الى الأمام، ومنقاره خلف ظهره يخرج منه "بيضة الحياة" المصدر: tatadonets/iStock

العرقي تبلورت نتيجة لجرائم مقتل نساء أو أشخاص ذوي البشرة السوداء ممّا أدى مثلا إلى اكتساب هاشتاغ ‹› #قل اسمها « #SayHerName مزيدا من الشعبية في الولايات المتحدة الأمريكية في إقرار لحقيقة أنّه بينما يحظى قتل رجال من السّود على أيدي شرطة بسمعة سيئة ظلّت جرائم قتل النساء والأطفال السود على أيدي الشرطة مكتومة لا تحظى بالدعاية والإعلان. وعليه، يتعذّر فهم أثر التواريخ في أي شخص دون إدراك لكوكبة من العلاقات والآثار التي تمّ تناقلها عبر الأجيال وترسّبت داخل الممارسات اليومية معيدة في الآن ذاته انتاج العنصرية والتحيز الجنسي.

لا تعتبر مسألة فهم الفئات التي تتمّ إثارتها في أي موقف اجتماعي وإدراك أهمية المواقع الاجتماعية والارتباطات العاطفية واالتموضعات وعلاقات القوة، أمرا بديهيّا بالضرورة. هذا يعني أنه لا يمكن افتراض أن الفئات الاجتماعية تغدو ذات أهميّة حين يقع التركيز عليها فقط عندما يتم التركيز عليها أو تغدو ذات التأثير المرئي. لكنه يعني كذلك عدم كفاية التواريخ -كما شرّعتها الدول الأمّة- لفهم المطاردة التقاطعية، نظرًا لوجود الكثير من المخفي في مثل هذه التواريخ ومحجوبة عنها. تعتقد أنّ التواريخ المكتومة تتغلغل في المجتمعات، تطارد الحاضر وتقض مضجعه من خلال العلاقات الاجتماعية التقاطعية الإقصائية/ الشمولية اليومية. ■

توجّه كل المراسلات إلى آن فينيكس على البريد الإلكتروني <a.phoenix@ucl.ac.uk>

> منظورات تقاطعيّة
حول الحركات الاجتماعية

بقلم **باربرا جوفانّا بالو**، جامعة ميلان، إيطاليا، عضو المكتب التنفيذي للجنة البحوث المعنية بعلم الاجتماع القانوني (RC12) التابعة للجمعية الدولية لعلم الاجتماع

المصدر: رافاييل دايندل

لقد اجتاحت كلّ من حركة «حياة السود مهمّة» وحركة «هاشتاغ أنا أيضا» (#MeToo) منذ سنة ٢٠١٣ و ٢٠١٧ تباعا لتمتدّ وتغدو ظاهرة عالمية. واجتذبت الحركتان نتيجة للتأثير المتزايد لوسائل التواصل الاجتماعيّ الاهتمام الدولي وحفّزته حيال العنف المستمرّ المنهج الذي تعاني منه النساء والأشخاص السود في الولايات المتّحدة وخارجها.

> نشأة الحركة

شاركت ثلاث نساء في تأسيس حركة «حياة السود مهمّة» (BLM) وهنّ باتريس كارلوس وأليشا غارزا وأوبال توميتي (Alicia Garza, Patrisse Cullors, Tometi) سنة ٢٠١٣ ردّا على تبرئة قاتل ترايفون مارتن (Trayvon Martin). وتعتبر حركة «حياة السود مهمّة» أوّل حركة من نوعها قائمة على شبكة الإنترنت بقيادة من السود ومن النساء ومن مجتمع الميم. أمّا حركة «هاشتاغ أنا أيضا» فتختلف تاريخيّا: إذ أسستها الناشطة ذات البشرة السوداء تارانا بيرك (Tarana Burke) سنة ٢٠٠٦ سعيا إلى معالجة آثار الصدمات النفسية الناتجة عن العنف الجنسي بحق النساء السود والشباب والمثليين والأشخاص المتحولين جنسيا وآخرين من الأشخاص ذوي الإعاقات من مجتمعات السود. و سرعان ما تسارع مشوار الحركة عبر الانترنت خلال فضيحة منتج أفلام هارفي وينستاين (Harvey Weinstein) سنة ٢٠١٧، حين دعت الممثلة الشهيرة أليسا ميلانو - والتي لم تكن حينها على دراية بحركة «# أنا أيضا» القاعدية السابقة - في تغريدة لها على تويتر النساء في جميع أنحاء العالم لتقاسم تجاربهن والتغريد للفت الانتباه إلى الاعتداءات الجنسية والمضايقات التي طالت النساء. باستخدام هاشتاغ «# أنا أيضا».

> المنظور القائم على «كلاهما/ معا»

لسائل أن يسأل ما الذي دفع بحركتين أطلقتها نساء سوداوات ومتقاطعتان عمدا منذ تشكّلهما، إلى مواجهة تحديات حين يتعلق الأمر بمحاولة تحقيق فعالية منظور «كلاهما / و». فنحن نلحظ نشطاء من الذكور السود يمثلون أنفسهم تدريجيا في نصرة لمجتمعهم وبوصفهم هدفا أساسيا للعنف العنصري الذي يرتكبه ضبّاط إنفاذ القانون.

>>

وفي خضمّ ذلك، تبدو سيطرة مطالبات النساء البيض للمنافسة في سوق العمل، دون التهديد باستعمال الاعتداءات الجنسية سيطرة جليّة على المشهد في غياب تامّ وعلى نحو متزايد لأصوات النساء السود وعرض تجاربهنّ. أستجمع فيما يلي بعض التفسيرات المحتملة لحجب تلك التجارب وتلجيم تلك الأفواه كما أجيل الفكر في كيفيّة امكانيّة اسهام النهج التّقاطعي في معالجة الوضع وتصحيحه في هذا المجال.

> مسائل العدالة الاجتماعية غير المتكافئة

أوّلا وعلى المستوى الهيكلي، تستوجب المكانة المختلفة الذي يتمتّع بها الجندر والعرق باعتبارهما فئتين مستقلتين قائمتين بذاتهما، إجراء تحليل أكثر دقة لأنها تؤثّر في تفاعلهما المتبادل وفي تداخلهما مع الفئات الأخرى في نطاق علاقات القوّة الهرمية.

في واقعِ الأمْر، وفي استثمار لرمزيتها، تدعو حركة «حياة السود مهمّة» أساسا السّود إلى معالجة مسألة تفوّق البيض على الملونين وإعادة إنتاج العنف على أساس العرق. لكن نلحظ محاولات الادعاءات المضادة المحافظة مثال مجموعتي «حياة الجميع مهمّة» (All Lives Matter) و «حياة الزرق مهمّة»[1] (Blue Lives Matter) في الحدّ وبشكل خاص من مطالبة النّساء السود والأشخاص السود الأكثر حرمانًا بالكرامة والتقليل من مداها. وتتوجّه حركة «# أنا أيضا» إلى مخاطبة كلّ النساء تقريبًا (اللاتي تحْصين أكثر من نصف سكان العالم) وذلك بسعيها إلى تفكيك النظام البطريركي لكن في تعبير يلتحف شكلا أكثر وضوحًا حول النفاذ إلى «غرفة» السّلطة /مَراكز السُّلطة والنُّفوذ دون التهديد بالعنف الجنسي، وهي مساحة عصية على بلوغ النساء السود إليها وتكاد تكون من المستحيل. تُثير كلتا الحركتين عموما مسائلَ تتعلّق بالعدالة الاجتماعية، غير أنّها تقوم بذلك بشكل مختلف.

> التكريس الذاتي للاستئثار بالامتيازات

ثانيًا، لعبت وسائل الإعلام الأمريكية والدولية الرئيسيّة دورًا في تعزيز إخفاء النساء السود وعدم بروزهنّ. إذ لا تزال أخبار القتل الوحشي للرجال السود وصورهم وكلماتهم حين كانوا يلفظون أنفاسهم «لا أستطيع التنفس» - تدوّي عالية وتشيع في آذاننا وفي نفوسنا، إلّا أننا نظلّ محجوبين عن صراخ النسوة السود المقتولات ولا تَطرُق آذانَنا أصواتُهم المكتومة. وعلى نحوٍ مماثل يعتّم الاعتداء الجنسي الذي تندد به النساء البيض - سواء كانت شهيرات أم لا - على الاعتداء الجنسي الذي تبلّغ عنه نساء ‹›أخريات‹›. تحظى في هذا السّياق «الطبقة» أهمّية في كلا الحركتين. ويتيح منظور الطبقة والعرق والجندر الكشف عن أنظمة امتياز متبادلة البناء تتبلور في نظام الإعلام - حيث يحظى الأشخاص البيض بما في ذلك النساء بوضع أفضل لجلب الانتباه - وتتم إعادة إنتاجها من خلال المعلومات الواردة.

ربما تفسر هاتان الملاحظتان الأوليتان الدعم واسع النطاق الذي لاقته حركة «هاشتاغ أنا أيضا» (#MeToo) والتقليل من أهمية تجارب النساء السود والأقليات، مع اقتراح إمكانيات كيفية تقويض علاقات القوّة القائمة وتضمين «جميع» الأصوات.

> لماذا الحاجة إلى التقاطعية؟

ثالثا، يمكن الاشارة إلى أنّ جرائم القتل والاعتداءات الجنسية لا تزال تُعتبر ظاهرة محدّدة بشكل مبالغ فيه لتُمثّل ‹› عالميًا›› معاناة النساء السّود ومحن الشعوب المنحدرة من أصول أفريقية. وعليه، نشير أن اعتماد النهج التقاطعي يكتسي القدرة على تحويل الخطاب العام الذي لا يزال قائمًا على افتراض أن العنف العنصري والجنسي هو ما يحدث تباعا، للرجال السود والنساء البيض.

رابعا، تتيح التّقاطعية إدراك كيف تُغذّي البنى الاجتماعية الهيمنة وخضوع الأجساد المجرّدة من الإنسانية كما في حالة حركة «حياة السود مهمّة» ويتمّ استغلالها في حالة حركة «هاشتاغ #أنا أيضا». فتصوير المرأة السوداء ياقوتة عدوانية أو تتميّز بقدرات فائقة خارقة للبشر وداعرات فاسقات بشهيتها النهمة في «جنسنتها. (ورد اسم جيزبيل (Jezebel) تاريخيًا للدلالة على سمة امرأة مخادعة وفاسدة أخلاقيا: المترجمة). التي يفترض أن تكون مُتَوَفّرة مُتَاحة جنسيًا ولُقْمَةً سَائِغَةً بَيْنَ يَدَيْ الرجل الأبيض يحق له اغتصابهما. قد يفيد بشكل فعال في تبرير الانتهاكات التي تأتيها قوّة الدولة ضدّ النساء السود واجبارهنّ على ممارسة الجنس دون إرادتهنّ كما يدفع مثل هذا التوصيف إلى التشكيك في مصداقيتهنّ. وبان هذا جليًا في قضية هارفي وانستاين أيضا: حيث شكّ من أصل عشرة (١٠) إدانات ضدّه، في مصداقيّة الممثّلة الكينية المكسيكية السوداء لوبيتا نيونغو. وفي الوقت ذاته كثيرا ما أدّى توصيف الرجل الأسود باعتباره مغتصبا للنساء البيض إلى ادعاءات وتجريمات واهية غير مؤسّسة شرّع اعدام السود خارج نطاق القانون في الماضي، بما يفسّر ربّما تَوَان بعضهم و تردّدهم في مساندة حركة «# أنا أيضا» و شعار «صدّق المرأة»[2] ممّا قد يؤثر أيضًا على تضامنهم مع النساء السود.

> المضي إلى الأمام

أخيرا ينصبّ تركيز التقاطعية بوصفها أداة استدلالية للتفكير، على آثار هياكل السلطة لكن للقرارات السياسية وحدها تحديد من يستحقّ الدعم وبأيّ شكل، كما تؤكّده كايشا لينديسي (Keisha Lindsay). لا يزال العديد من المؤيدين في كلتا الحركتين منخرطين في نضال أحادي المحور في وقت يسعى مؤسسوها ونشطاء آخرون بشكل شديد الاهتياج إلى ابراز من لا زالوا غير مرئيين: حيث تستحق مبادراتهم المزيد من الاهتمام عبر الإنترنت في جميع أنحاء العالم في وسائل الإعلام. إذ أطلق منتدى السياسة الأمريكية الأفريقية (AAPF) ومركز دراسات التقاطعية والسياسات الاجتماعية (CISPS) لمعالجة العنف الذي تمارسه الشرطة ضد النساء السود (بما في ذلك النساء الترانس وذات جندر غير نمطي والمتحولات جنسياً) في هذا السياق أطلق مشروع «# ألفظ إسمها» (#SayHerName) في ديسمبر ٢٠١٤. وتسعى حركة «#أنا أيضا» الأصلية وهاشتاغ «#نحن أيضا» إلى التصدّي للاعتداءات الجنسية التي طالت النساء ذوات البشرة الملونة، والعاملين غير المهرة، والأشخاص من مجتمع الميم +.

أقترح في طريق المضي قُدُماً، أنه يمكن استخدام خصائص الإنترنت بشكل أفضل لإثارة «مسألة التّقاطعية» على المستوى العالمي. في الواقع، ولئن سمح الطابع عبر الوطني وتوسيع نطاق الاتصالات عبر الإنترنت بالتركيز على النساء البيض والرجال السود، فقد بيّنتْ أيضًا وبشكل صارخ أن السّرد يفتقد إلى الحلقة التي تتضمّن «شخص ما»، ومهدت الطريق لردود فعل فوريّة حول «من» كان غائبا في السّرد›› و «لماذا»، مما يفسح مجالا لخوض مناقشات بشأن الفجوات الراهنة. يمكن لحركتي «#أنا أيضا» و «حياة السود مهمّة» في هذا الفضاء «الافتراضي» أن تضاعف أجنداتها «التّقاطعية» المتاحة على شبكة الإنترنت وخارجها وذلك من خلال بناء تحالفات. تستذكر في هذا السياق قولة المحامية والناشطة الأمريكية ماري ماتسودا (Mari Matsuda): «لا يمكننا في هذه المرحلة من التاريخ، الانخراط بشكل مثمر [...] دون الانخراط في تحالفات، ودون الخروج من أماكن منعزلة ولقاء بعضنا البعض عبر جميع أوضاع الامتياز والتبعية التي نرتبط بها مع بعضنا البعض». ■

توجّه كل المراسلات إلى باربرا جوفانّا بالو على البريد الإلكتروني <barbara.bello@unimi.it>

[1] «حياة الزُّرق مهمة» أي حياة الشرطة مهمة. وهي حركة مضادة في الولايات المتحدة أنشئت مجموعة من ضباط إنفاذ القانون ردًا على حركة ‹›حياة السود مهمة››.عقب مقتل ضابطين من نيويورك، ديسمبر ٢٠١٤ في نيو يورك . المترجمة

[2] «صدّق المرأة» شعار سياسي أمريكي انبثق عن حركة «# أنا أيضا» في إشارة إلى الدعوة إلى قبول ادعاءات النساء بالتحرش الجنسي أو الاعتداء الجنسي ضدّهنّ وتصديقهنّ. ظهر الشعار في لافتات خلال احتجاجات ٢٠١٨. المترجمة

> أوجه التضامن التّقاطعي

ومقدمو الرعاية المهاجرون

بقلم **ايتال تانغوهان**، جامعة يورك، كندا

أعلن وزير الهجرة من الحزب الليبرالي أحمد حسّان في أفريل ٢٠١٨ أنّ برنامج مُقدمي الرّعاية المقيمين لن يقبل بعد الآن طلبات الحصول على الإقامة الدائمة اعتبارًا من سنة ٢٠٢٠. كان الإعلان مفزعا للمنظّمات التي أنشأتها حركة مقدّمي الرعاية الكندية ونزلَ عليهم كالصاعقة. مما دفع بحركة المهاجرين في تورنتو، والتي تتألّف من مختلف الفاعلين من مواقع اجتماعية مختلفة ومنظمات متنوّعة تختلف أهدافها وأجنداتها اختلافا حادًا، للخوض في تحرّكات.

> كيفية الحصول على الإقامة الدائمة لجميع مقدّمي الرعاية المهاجرين

عقدت الحركة اجتماعات على عجل في مركز الأنشطة العمّالية في تورنتو وحضرتها مختلف منظّمات المهاجرين. وعلى إثر الاتّفاق على استمرار مقدّمي الرعاية في التمتّع بالإقامة الدائمة في كندا، شهدت الحركة انشقاقات وبرزت انقسامات على أساس كيفية تحقيق المطالبة بالحصول على الإقامة الدائمة لكافّة مقدّمي الرعاية المهاجرين. انطوت الانقسامات كذلك على مسائل متعلّقة بالأجندات التي يتعيّن تحديد أولوياتها، وفي معرض ذلك برزت الأسئلة التالية على السطح:

«من يتحدث نيابة عمّن؟ من يتعرّض في الواقع للخطر في هذه الحملة؟ وهل ينبغي توجيه الجهود الجمعية على نحو يهدف إلى الإصلاحات القانونية أو هل يتوجّب كذلك النّظر في اللامساواة البنيوية التي ترغم مقدّمي الرعاية المهاجرين على مغادرة عائلاتهم في موطنهم و التوافد على كندا بحثا عن عمل؟»

> المقترحات المسحوبة

تُركت تلك الأسئلة دون إجابة بل وظلّت نقطة محورية فب التوتّرات. لكن توفّقت منظّمات مقدّمي الرعاية في الإعراب عن معارضتهم للتغييرات المقترحة مؤكّدين على ضمان أنّ وجهات نظرهم غدت جزءا من الحوار المستمرّ الدائر. وركّز التأكيد من خلال البيانات الإعلامية والاحتجاجات على أنّ عمل مقدّمي الرعاية جزء قيّم من المجتمع الكندي وأن مقدّمي الرعاية المهاجرين، ومعظمهم من عاملات بلدان الجنوب العالمي المعرّضات للعنصرية، يشكلون جزءًا لا غنى عنه من القوى العاملة. أتت تلك الاحتجاجات أُكلها إذ أُرغمت الحكومة الليبيرالية على سحب اقتراحها نتيجة الحراك وخلقت مسارات جديدة فتحت بها سبلاً جديدة لمقدّمي الرعاية المهاجرين للحصول على الجنسية الكندية. ولئن كانت المسارات المترتبة بعيدة كل البعد عن الحق التلقائي الذي كان على مقدمي الرعاية التقدم بطلب للحصول على الجنسية الكندية سابقا في إطار برنامج مُقدمي الرّعاية المقيمين المنحلّ الآن، إلّا أنّه تم الاحتفاظ بمسارات الحصول على حقوق الإقامة الدائمة كما تمّ إعفاء تحالفات مقدّمي الرعاية مع إيقاف التهديدات بإزالة حقوق المواطنة كليًا.

> المنظور التّقاطعي

حين التفكير في هذه المناقشات لاحقا بعد أربع سنوات سنة ٢٠٢٢، يطرأ في ذهني أن اتّباع المنظور التقاطعي في دراسة حركات مقدّمي الرعاية المهاجرين تحديدا والحركات الاجتماعية عامّة يبرز المعضلات الصعبة التي طالما يواجهها الفاعلون في مثل تلك الحركات.

أوّلا: تتيح لنا التّقاطعية أن التقدير الفعلي للتحدّيات التي تعترض سبيل حركات مقدّمي الرعاية من المهاجرين حين التخطيط لنظام أساسي موحّد يضع في الاعتبار المواقع الجغرافية المتعدّدة والمتداخلة التي يحتلّها أعضائها.

وتظلّ التّوترات قائمة عند تحديد منْ مِنَ النشطاء يحقّ له فعلا التحدّثُ باسم الحركة وأن يكون بحقّ صوتها ويمثّل أراءها، بالنظر إلى أن الأعضاء المعرضين أكثر من غيرهم للحرمان والعوائق التقاطعية هم الأقل قدرة على الأرجح على التبليغ والتصرّف في المساحات التعبيرية. بل ويمكن القول إن احتياجاتهم تبدو أكثر إلحاحًا. ومن ثم، يميط هذا النهج التّقاطعي اللثام عن الصعوبات في إنشاء حركة قادرة على تجسيد احتياجات أعضائها ومعبّرة خاصة عن كُنْهِ أكثر الأعضاء مواجهة لأشدّ للتحديات.

ثانيا، يُبرز المنظور التّقاطعي كذلك كيفيّة استفادة حركات مقدّمي الرعاية المهاجرين من كونهم تقاطعيّين في نهجهم. حيث تسعى المنظّمات ذات الصلة بمقدمي الرعاية من المهاجرين، والتي تعرّف نفسها كونها تقاطعية، إلى خلق تحالفات مختلفة مع قواعد متنوّعة من الأعضاء. وغالبًا ما يشكلون تحالفات مع الحركة العمالية والحركة النسوية. كما سعت تلك المنظمات التي تتحرّك لمصلحة مقدّمي الرعاية المهاجرين في كندا والذين تُجابَهُ طلبات الجنسية الخاصة بهم بالرفض جراء معاناتهم أو معاناة عائلاتهم من إعاقات، إلى تكوين تحالفات مع حركات عدالة الإعاقة. نشير إلى أنّ فرص العمل مع هذه الحركات المختلفة تتيح للعاملين في مجال مقدّمي الرعاية المهاجرين اكتساب مخاوفهم لقوة جذب أكثر انتشارًا ومزيدا من الزخم على نطاق واسع. و كما كتبت أنا وفرناندو تورموس أبونتي Fernando Tormos-Aponte في مقال يصدر قريبا، فإن القدرة على كسب تضامن تقاطعيّ يتيح للمجتمعات المختلفة برؤية مصائرها مترابطة. تعتقد المنظمات التقدمية التي تشكل جزءًا من حركة مقدّمي الرعاية المهاجرين - جنبًا إلى جنب مع الحركات الاجتماعية الأخرى - أنه يمكن بتظافر جهودهم والعمل يدا واحدة، تقويض القمع و دكِّهِ من خلال توحيد الجهود في الحملات الرئيسية والتأثير في الخطاب العام.

> الإلغاء مقابل الإصلاح

تمثّل مسألة الأجندات المعيارية حتما محور انخراط الجهات الفاعلة المختلفة من أي حركة ما في صراعات. حيث يقدم المنظور التقاطعي مرة أخرى دليلا نيّرا. تؤمن بعض منظمات مقدّمي الرعاية المهاجرين، و تناغما مع رؤية جمعيّة نهر كومباهي التقاطعية Combahee River Collectiveأنه يتوجّب على الحركات في نهاية المطاف السير في اتجاه إلغاء هياكل السلطة المتشابكة للرأسمالية والإمبريالية والبطريركية. في حين تعتقد منظمات الأخرى في تكثيف جهودها في السعي إلى إحداث تغييرات في السياسات. أعرض في كتابي القادم المعنون، الحراك في مجال الرعاية: مقدّمو الرعاية المقيمون المهاجرون، إقامة الحركات ومجتمعات الرعاية، تصنيفا لهذه الانقسامات باعتبارها قائمة على مبدا

>>

”يسمح لنا تحليل هذه الحركات باستخدام التقاطعية بتقدير أفضل لسلاسة الأساليب التي تتبناها حركات عمال رعاية المهاجرين“

الإلغاء مقابل الإصلاح والتي تنطوي على اعتقاد بعض المنظّمات في تعزيز نجاح الحركة لرؤية إبطاليّة مؤيّدة للإلغاء بينما ترى المنظّمات الأخرى استناد النجاح إلى إحداث تغييرات في السياسات.

> آثار جائحة كوفيد ١٩

لقد تجاوزت جائحة كوفيد ١٩ العديد من الانقسامات الإيديولوجية إذ جعلت من عملية التحليل المبني على التقاطعية بيّنة بل أكثر بروزا. فبينما لا أزال أعتقد في استناد رؤى المنظمات المختلفة المعيارية في النهاية إلى الإيديولوجيا، يمكّننا تحليل هذه الحركات باستخدام التقاطعية من التقدير الأفضل لمدى مرونة النُّهج التي تتبناها حركات مقدّمي الرعاية المهاجرين. تبرز التقاطعية، بتركيزها على التحليل متعدّد الأبعاد للقوّة والذي يحدد التّحولات في العمليات وفي الأنظمة والهياكل التي تحدّ من تجارب الأفراد الحياتية المعيشة وتؤثر فيها، كارثيّة كوفيد ١٩ وتدميرها لمقدّمي الرعاية المهاجرين حيث تركت آثارا مدمّرة في التحولات المترتّبة في سياسات الدولة وفي ظروف أماكن العمل.

لقد مثّلت جائحة كوفيد نقطة تحوّل لمقدّمي الرعاية المهاجرين في كندا مؤكّدة على ضرورة الحراك في تضاعيف الحركة. والتقت في هذا السياق العديد من المنظّمات ذاتها التي كانت منخرطة في مواقف متضاربة سنة ٢٠١٨، خلال الجائحة للدعوة إلى تحسين سياسات سندا لمقدّمي الرعاية المهاجرين، سياسات ترمي إلى الشروع في احداث تغييرات هيكلية طويلة الأمد حتّى تحظى مسألة الرعاية بمركز الصدارة واهتمام الجميع بوصفها قيمة مجتمعية أساسية. وقد أدى الوباء أيضًا إلى قيام الجهات الفاعلة داخل حركة عمال رعاية المهاجرين التفكير مجدّدا في أهمية رسم تحالفات مع حركات السّكان الأصليين، ومع حركة حياة السود مهمّة (BLM) ومع الحركات الاجتماعية التقدمية الأخرى. حريّ بنا الملاحظة هنا أنّ اعتبار هؤلاء لمصائرهم كونها مصائر واحدة متّحدة بشكل لارجعة فيه مع المجتمعات الأقليات الأخرى أدّ إلى إدراك أعمق بضرورة تضافر الجهود لتحقيق التضامن التقاطعي. ■

توجّه كل المراسلات إلى ايتال تانغوهان على البريد الإلكتروني <tungohan@yorku.ca>

> السعي إلى خلق استعارة تقاطعية مناسبة

بقلم **أموند ريك** هورفات، جامعة أوسلو، النرويج

تقاطعات كثيرا ما تمثل من خلال مفترق طرق و طرقات عامة. المصدر: الى جيريمي بيشوب Unsplash

تَزخر اللغة بشكليها اليومي والأكاديمي بالبديع اللغويّ. فحين البدء في البحث عن استعارات كامنة في نصّ من المرجّح أن تبرز لك وكأنها فطر برّي. تستخدم الاستعارات الصور البلاغية وهي تعبيرات تُحدِث تغييرات على المعنى المألوف للمفردات لوصف أشياء أخرى وتمثيلها. تستفيد الاستعارات مثال القلب المنكسر الجريح وتفاحة متعفّنة وبوصلة أحَدهم أو مصطلح الأفراد الذي تظهر مواهبهم متأخّرة، والسيوف ذات الحدّين، من الأشياء المعهودة جيدًا في أمكنة عادية ثمّ تنقلها إلى مساحات جديدة ومفاجئة أحيانا. يوضح تحديد موقع ثراء الاستعارات في لغتنا اليومية والأكاديمية سبب كونها شيئًا «نعيش به وضمنه» على النحو الذي وضعه جورج لاكوف ومارك جونسون (George Lakoff and Mark Johnson) سنة ١٩٨٠ في عملهما الكلاسيكي عن الاستعارة. وبخلاف كونها ظاهرة طرفية للّغة، وشيئا خارقا للعادة تحضنه عوالم الشعر والبلاغة، تؤثّر الاستعارات بعمق في تفكيرنا وفي سلوكياتنا وأفعالنا اليومية.

> كيمبرلي كرينشو واستخدامها لمجاز حركة المرور عند التقاطع

لقد طوّرت مقالة كيمبرلي كرينشو المنشورة سنة ١٩٨٩ والمعنونة «إزالة تّهميش تقاطعية العرق والجنس: نقد نسوية سوداء لمبدا مناهضة الميز العنصري والنظرية

>>

النّسوية والسّياسات المناهضة للعنصرية» (١٩٨٩) مفهوم التّقاطعيّة من خلال استخدامها لاستعارة التقاطعات المرورية. قدّمت كرينشو من خلال تصوّر تجربة النساء السّود للتمييز والشبيهة بتجربة دّهس حركة المرور من اتجاهات متعددة، صورًا مثيرة للذكريات بشكل خاص لتُقرِن تحليلها للقضايا القانونية في الولايات المتّحدة، حيث ظّلت النساء السود معرضات لخطر الاستثناء وعالقات في فجوات مذاهب مناهضة المعادية للميز العنصري في الولايات المتحدة. على الرغم من تناول تقاطع حركة المرور منذ ذلك الحين كصورة مركزية للتقاطع، فقد كانت بالمثل موضع انتقاد. إذ تمحورت جلّ الاعتراضات حول الأبعاد الإضافية لصورة تقاطع حركة المرور وهي عمليّة تصوّر الفئات الاجتماعية - مثل النوع والعرق والطبقة والميول الجنسية – كونها فئات منفردة منفصلة ومستقلة لتجعل من ربط بعضها البعض أمرا ممكنا. يبدو من الصعب أن ننكر أن صورة تقاطع حركة المرور هي صورة مضافة في المعنى كونها تفصل بين الطرق المستقلة المؤدّية إلى التقاطع وإلى مسار الخروج منه. ففي العقود الثلاثة التي تلت نشر مقالة كرينشو، نلاحظ اقتراح فيض- أكثر وأقل غرابة- من الاستعارات البديلة. ممّا شكل واحداً من أهم طرق انتقال التّقاطعية: حيث رحلت الفكرة شرقاً و غرباً من خلال منحها بشكل مستمرّ تفسيرات وتفصيلات جديدة وذلك باستخدام البديع اللغوي من الاستعارة والتشبيه.

> ثمّة أكثر من طريقة للقيام بذلك أو «كل شيخ وله طريقة»!

من المثير للاهتمام أنّ بعض الاستعارات البديلة للتّقاطعية تجريدية أكثر مُقارنة بتقاطع حركة المرور التي تهدف إلى استبدالها. نذكر على سبيل المثال المحاور، والتّداخلات، والتشكّلات، والمُجمّعات والكسريات، والصدوعات، والمتّجهات (الناقلات/الانفعالات) والطوبوغرافيات، ومساحات الظهور المضطربة. فلأولئك الساعين إلى ابتداع استعارات ضمن مجالات أكثر واقعية من البيّن أن مجالي الطهي والخبيز يمثّلان مجالين مُلهِمَين، حيث تُشَبَّه التقاطعية بالسّكر، والكوكيز، والكعكة المُطَبَّقة، والدوامات في الكعكة المرخَّمة (ماربل كايك) والخفيق، والحساء. نشير إلى أنّه لجانب واحد من جوانب الطهي والأكل تأثيرات جذّابة بشكل خاص على الباحثين السّاعين إلى ابتداع استعارات أفضل للتّقاطعيّة. فهي الطريقة التي تمتزج بها المكوّنات وتتداخل وتتدفّق فيما بينها، فيصبح الجزء كلّا ويتجزّأ الكلّ وتمتزج المكونات المختلفة وتنسكب ثمّ تُلتهم معا في الخلّاط. تبرز استعارة الحساء التي ابتكرها شانون ساليفان (Shannon Sullivan) من بين الأمثلة على هذا الفيض من الاستعارات المتّصلة بالغذاء وهي تعبير مجازي قدمته في كتابها «العيش على الجانب الآخر من الأجساد وبينها». ٢٠٠١ (استكشاف العلاقة الديناميكية بين الأجساد والعالم من حولها. المترجمة). فخلافا لطبق الفوندو، حيث تذوب المكونات معًا وتتحلّل، تحتفظ الخضروات الموجودة في حساء سوليفان «بهويتها» في القِدْر، ولكنها وفي الآن ذاته تتحول بتفاعلها مع الخضروات الأخرى. فبالتفكير في الحساء بوصفه استعارة للعلاقات الاجتماعية والهويات متعدّدة الجوانب، تسلّط الخضروات التي يحتويها القدر الضوء على العلاقة الديناميكية والمتشكلة بشكل متبادل بين أجزاء مختلفة من الهوية الاجتماعية للفرد، منها فئات العرق والجنس والطبقة والميول الجنسانية والسنّ والقدرات/الإعاقات، وما إليه.

> التقاطع الفوضويّ الجبلي الوعر

استمر باحثون آخرون في العمل بالصورة المجازية لحركة المرور في الطرق وفي مفترقها. ترسم آن غاري (Ann Garry) في مقالتها الصادرة سنة ٢٠١١ بعنوان «التقاطعية والاستعارات وتعددّ الجندر» (Intersectionality, Metaphors, and the Multiplicity of Gender)، إضافة مزيد من العناصر خطوة بخطوة إلى تقاطع حركة المرور وهي عناصر تستند إلى استعارة كرينشو الأصلية لكنها تُعقّدها في الوقت نفسه. ففي سعي منها إلى إضفاء أكثر مرونة على الاستعارة لتكون أفضل قدرة على التقاط توليف دقيق للأنظمة القمعية، تجنح غاري إلى إضافة المزيد من الشوارع والمزيد من السيارات وطريق دائريّة. ومع ذلك، تظلّ تلك العناصر المضافة عاجزة على استرداد الأفقية التقييدية لصورة التقاطع المروري. ولتحقيق ذلك، تدعونا الضرورة إلى المغامرة بتخطّي هيكل الدوّار المسطّح. وسنحتاج إلى ضرورة إيجاد عنصر عمودي حتّى نُبيّن كيفية عمل هياكل الامتياز والقمع بشكل جماعي كيفية ارتباط كل منها بالأخرى. نلاحظ هنا اتّجاه غاري في هذه المرحلة نحو صورة الجبال المجازية. عندئذ تستحدث أيضًا صورة سوائل انسيابيّة لترفقها إلى صورة الجبل. ومرة أخرى بدافع ينطوي على ضمان بقاء الصورة سيّالة سائلة بعيدة عن الصلابة والانفصال. تفضي إعادة غاري للصياغة عن شيء يشبه ما يلي: تتدفّق سوائل من الجبال لتصبّ في تقاطع يحتلّ الدوّار فيها مركزَه وحيث تلتقي العديد من الشوارع والسيارات. حتّى وإن بدت هذه الصورة فوضوية تؤكّد لنا غاري أن هذا النوع من الفوضى هو بالضبط ما نحتاجه في استعاراتنا لمساعدتنا على فهم مدى تعقيد مسألة التّقاطعية.

> لا وجود لفوضى بحتة

ما الذي يدفعنا للبحث عن استعارات بديلة لمسألة التقاطعية؟ يبدو أنّ السعي إلى ابتداع استعارات جديدة وتحسينها يغذّيه الاستياء الكبير حول الصورة المركزية للتقاطعية. إذ ببساطة لا تستوفي استعارة مفترق الطرق المتطلّبات وذلك لاستنادها حتّى تفي بالحاجة إلى مبدا الجمع بين تدفّقات منفصلة. بعبارة أخرى ينبغي أن تبدو الاستعارة›› المناسبة›› استعارة نقيّة لا تشوبها شائبة قابليّة الإضافة. يحضرني في هذه اللّحظة إصرار غاري على الحاجة إلى وضع الفوضى في ابتداعنا لاستعارات توحي بالتقاطعية.

ومع ذلك، يبدو البحث عن الاستعارة المناسبة للتقاطعية، على نحو متناقض، أنه يرنو إلى شكل أكثر نقاوة من الزخرفة أي أنها محاولة لنحت بديع لغوي في شكل استعارة بمأمن عن التلوّث الذي تُحدثه قابليّة الإضافة. يبدو لي أن التّطلع إلى مثل هذه النماذج من النقاء نقيض الفوضى تمامًا، وهو أمر قد يحول دون خيالنا الفكري والمجازي. أو ليس الأخذ ب «الحاجة إلى الفوضى» في استعاراتنا على محمل الجدّ؟ بدلاً من ذلك، يتطلب منا الاقرار بالأبعاد الإضافية لتفكيرنا، واعتبارها موردا محتملا بدلاً من أن يكون مصدر إحراج وارتباك؟ ■

توجّه كل المراسلات إلى أموند ريك هورفات على البريد الإلكتروني <a.r.hoffart@stk.uio.no>

> التقاطعية
بوصفها أسلوبا نقديا

بقلم **كاثي دايفيس**، الجامعة الحرة في أمستردام و**هيلما لوتز**، جامعة غوته، فرانكفورت، ألمانيا

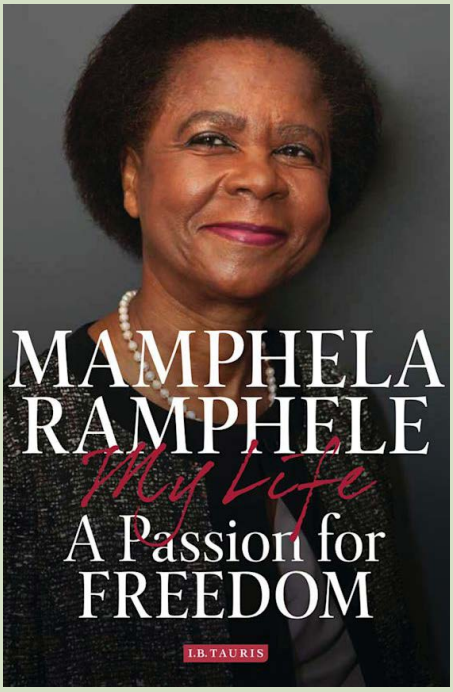

المصدر: أي بي توريس

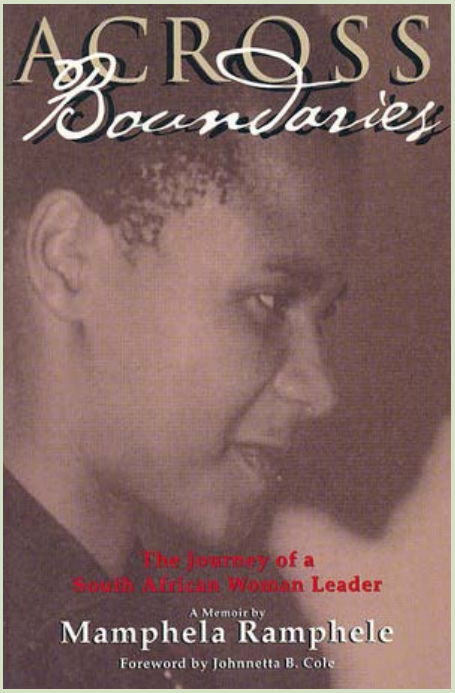

المصدر: الصحافة النسوية في جامعة المدينة في نيويورك

غم اقتناع العديد من الباحثين في مجال دراسات الجندر أنّ التقاطعية جزء أساسي من النظرية النسوية الجيّدة لا تبدو كيفية اعتمادها في سياق البحث واضحة دائمًا.

تثير التقاطعية عمليًا العديد من التساؤلات، مثال ما هي الفئات التي يجب تضمينها في التحليل النّسوي التّقاطعي؟ وهل على الباحثين التمسّك دومًا بـ «الثلاثي الكبير» المتمثل في النوع والعرق والطبقة، أم هل ينبغي عليهم توسيع دائرة بحوثهم؟ بل يتساءل بعض العلماء حول ضرورة استخدام الفئات إطلاقا جرّاء طبيعتها المضلّلة وعجزها عن تجسيد التنوع الواسع من الخبرات والهويات.

> كيفية تطبيق التّقاطعية

خلصت الباحثة القانونية الأمريكية إلى إجراء بسيط للقيام بالتحليل أسمته: «طرح السؤال الآخر» وهو *«حين أرى شيئًا يبدو عنصريًا»*، أسأل، *«أين النظام البطريركي في ذلك؟»* *«وحين أرى شيئًا شبيها بالتحيّز الجنسي»*، أتساءل، *«أين هو الانحياز الجنسي المغاير في هذا؟»* وعند ملاحظتي لشيء شبيه بمعاداة المثلية، يخامرني السؤال *«أين تكمن المصالح الطبقية في هذا كلّه؟»* يبيّن هذا الإجراء أنه طريقة بسيطة بشكل مدهش دون شكّ ولكنّها بالتأكيد طريقة فعّالة للشروع في تحليل الطّرق التي تعمل بها القوّة التّقاطعية في التجارب الحياتية الي يخوضها الناس وفي قصص حياتهم وكيف يمكن أن تلعب تلك التقاطعات دورا تمكينيّا وتعدّ عاملا مكبّلا على حد السواء.

> كيف يمكن فهم الحرية كونها ترتهن إلى دمج النضالات ومقرونة بها لتمثّلها

قمنا على سبيل المثال باعتماد هذه الطريقة على قصّة حياة مامفيلا رامفيلي (Mamphela Ramphele) الطبيبة والكاتبة والناشطة في مجال مناهضة سياسات الفصل العنصري والزعيمة السياسية من جنوب إفريقيا التي كان قد زجّ بها في السجون وحُظر نشاطها لسنوات عديدة، لكنها غدت أول أفريقية سوداء تترأس جامعة جنوب أفريقية. كما تولّت رامفيلي خطّة مدير إداري منتدب للبنك الدّولي، ومرشحة للرئاسية عن التحالف الديمقراطي في الانتخابات العامة لسنة ٢٠١٤[1] في جنوب أفريقيا. نشير إلى اعتمادنا في هذا المثال على طرق ثلاث في «إثارة السؤال الآخر» وذلك ب أ) تحديد موقفنا وموقعنا بوصفنا باحثين قبل بدء التحليل، ب) اكتشاف النّقاط العمياء التي برزت أثناء التحليل، وج) تعقيد التفكير في علاقات القوة

أ) عقب الحجّة الذائعة الصيت التي عرضتها دونّا هاراوي (Donna Haraway) والتي تبيّن فيها أن الباحثين النّسويين في حاجة إلى الإقرار بأن ما يُنتجونه من معارف تبقى دائما معارف مسبقة ومتحيّزة وانعكاسيّة، أدركنا أنه بوصفنا باحثات من ذوي البشرة البيضاء ونسويات أوروبيات/أمريكيات ملتزمات بأجندة مناهضة للعنصرية، فإن رغبتنا في تحليل سيرة رامفيلي لم تكن مسعى بريئًا. نظرًا لكوننا منتقدات لإغفال الأدبيات النسوية لمسألة العرق والعنصرية، فقد كان يحدونا الأمل أن تسنح لنا قصّة حياة

>>

رامفيلي بالانطلاق في تنفيذ مشروعنا ألا وهو إثبات استحالة تناول مسألة الجندر دون مناقشة العرق. نشير إلى اندهاشنا في البداية من إحجامها الواضح عن وضع نفسها في خانة الأفريقية السوداء في سياق الفصل العنصري، أو التحدث بشكل واضح عن تجاربها الخاصة بالتمييز العنصري. حتى أنها بدت وكأنها تنأى بنفسها عن العرق والعنصرية من خلال التمتّع بموقعها المتميز الذي تحظى به أو الطرق التي توخّتها حتى تبرز فيها مناضلة رائعة أو مختلفة. أمّا الأمر الأبرز والأكثر إثارة للاهتمام فقد بان جليًا في حقيقة أنه بدا عليها الارتياح طوال المقابلة في التحدّث عن نفسها بوصفها امرأة. حيث دفعنا تأكيدُها مرارا على أهمّية الجندر إلى التوقّف عن مسار المقابلة لندرك الضرورة إلى العودة إلى مرحلة التخطيط.

ب) فمن خلال «طرح السؤال الآخر» مجدّدا، نظرنا بتمعّن أدقّ في بعض لحظات المقابلة تلك حين أكّدت رامفيلي على أن عدم المساواة بين الجنسين والتمييز القائم على الجنس تعدّ القوى الحافزة نحو تحقيق تطوّرها الكامنة. وعلى نقيض افتراضنا بأن العنصرية مثّلت السمة الأكثر بروزًا في حياتها في ظل نظام الفصل العنصري، لم تنثني رامفيلي عن الإشارة إلى العلاقات البطريركية في العلاقات الجندرية في محاولة لاضفاء معنى على حياتها. حيث أدّت إستراتيجيتها السردية دورا مفيدا في ترسيخ مكانتها الخاصة، وهو أمر كان بالإمكان تحقيقه وعلى نحو أكثر يسراً من خلال هويتها الجندرية في جنوب أفريقيا المتشعّبة عرقياً. لم تضع رامفيلي نفسها في خانة امرأة سوداء أو جنوب أفريقية بل تموضعت بحيّز الابنة والأخت التي اضطرّت إلى النضال ضدّ الرجال والمؤسسات التي يهيمن عليها الذكور والتي منعتها من القيام بما كانت ترغب في القيام به. وبهذا الشكل فرضت رامفيلي نفسها كونها امرأة مميزة: تختلف عن عائلتها وعن أصدقائها وزملائها ورفاقها.

ج) و «بطرح السؤال الآخر» توصّلنا إلى إدراك عزم رامفيلي على تقديم نفسها بوصفها امرأة ذات فكر وتوجّه مستقل. حيث باتت رغبتها العميقة في التغلب على القيود المعيارية لدور المرأة في المجتمع أساس نجاحها بوصفها باحثة عصامية وناشطة ومهنية وأم عزباء. تجدر الإشارة إلى تركيز رامفيلي على الأنشطة التي أنجزتها تحت تأثير حافزها الذاتي وبكامل إرادتها (بعيدا كلّ البعد، على سبيل المثال، بوصفها حبيبة المناضل ذائع الصيت في القوة السوداء الجنوب أفريقي المناهض للأپارتهايد ستيف بيكو (Steve Biko). مع تأكيدها مرارًا وتكرارًا أن الأمر لم يكن يتعلق بالعرق دونه، أو بوضع الميز العنصري، أو بحركة الوعي الأسود. في أهمّية إدراكها لكيفية تحديد هويتها. كان بيان رامفيلي واضحا جليًا لكيفيّة بروز الجوانب المختلفة والمواقف الاجتماعية في حياتها في لحظات محددة من مسيرتها، والتي عكست السياق الذي وجدت نفسها فيه. نسوق هنا مثال لحظات تمرّدها ضد إعطاء حزب المؤتمر الوطني الأفريقي الأولوية للنضال ضد العنصرية على حساب النسوية.

«لا يمكنك تجزيء الحرية. مثيرة السؤال، كيف سأعرّف نفسي شخصا حرّا إن أنا أصبحت حرة كشخص أسود وظللت عالقة منحبسة في قفص المرأة؟ لا وجود لطريقة يمكن من خلالها تقسيم جسدي بين المرأة التي في داخلي والشخص الأسود الكائن في ذاتي. وإن كنت ستتناول حريتي، فلتكن متكاملة».

تؤلّف رامفيلي في هذا المثال الجميل لمسألة لتفكير القاءم على التقاطعيّة بين الجندر والعرق معًا مبرزة غرتهان الحرية بتكامل كلا النضالين.

> كيف تسمح لنا الاستراتيجيات اليومية بمقاومة السلطة أو استيعابها والتلاؤم معها

تمكّننا طريقة «طرح السؤال الآخر» من إدراك الوعي التقاطعي في سيرة رامفيلي وذلك من خلال مساءلة افتراضاتنا الخاصة وموقعنا الاجتماعي مساءلة نقدية حتّى ندرك كيف تحُول نقاطنا العمياء دون تحليلنا للمقابلة، و الكشف في نهاية المطاف عن كيفية توفير المحاوَرة في هذه المقابلة ذاتها لإعادة بناء معقّدة لحياتها و لخلق قصة ذات دلالة ما كانت لتبدو منطقية لو لم تعتمد فيها الفهم التقاطعي للجندر والعرق والاختلافات الاجتماعية الأخرى. نشير إلى عدم اقتصار اعتماد التقاطعية على الباحثين وعلماء الاجتماع والنسويات وعلماء العرق الناقدين بل يستخدمه الناس العاديون أنفسهم كذلك. يتعيّن على تحليل التقاطعية أن يدرك تماما كيفية تموضع الناس في سياقات مختلفة وفي لحظات مختلفة من حياتهم. وهذا يستتبع الإقرار بمواطن الضعف التي لا تتسم بالتساوي أو التماثل في أيّ المواقف وعلى النظر في كيفية تطوير الأفراد لاستراتيجيات - غالبًا ما تكون ملتحفة بفطنة هائلة- للتخفيف من مواطن الضعف أو استيعابها. والأهم من ذلك كله وأبلغه، ينطوي التحليل التقاطعي على التفكير في الاستراتيجيات اليومية التي يستخدمها الناس على المحكّ لمقاومة السلطة أو استيعابها وهي استراتيجيات لا محالة أكثر تعقيدًا وتناقضًا يفوق توقعاتنا. ■

توجّه كل المراسلات على العنوان الإلكتروني إلى
كاثي دايفيس <k.e.davis@vu.nl>
وهلما لوتز <lutz@soz.uni-frankfurt.de>

[1] يستند هذا التحليل إلى مقابلة أجرتها زميلة ناشطة سابقة في مجال الحقوق المدنية والمؤرخة الشفوية ماري مارشال كلارك، بالإضافة إلى العديد من السير الذاتية التي كتبها رامفيلي نفسها

> أيام الجمعة من أجل المستقبل: منظور الحركات الاجتماعية

بقلم: **كويتشي هاسيغاوا.** جامعة شوكي غاكوين، اليابان، وعضو لجنة البحوث التابعة للجمعية الدولية لعلم الاجتماع حول البيئة والمجتمع (RC24).

الصورة الأصغر: المسيرة من أجل المناخ في آذار، في لندن، ٦ نشرين الثاني ٢٠٢١.
المصدر: أميليا كولينز (أصدقاء الأرض الدولية)

الصورة الأساسية: اليوم العالمي للتحرك من اجل العدل المناخي. شارك ١٠٠٠٠٠ شخص في المسيرة من اجل المناخ في غلاسغاو في تشرين ٦ تشرين الثاني ٢٠٢١.
المصدر: هاناي ناهاكاشي (أصدقاء الأرض في اليابان)

٢٨

ظ لّت حركة «أيام الجمعة من أجل المستقبل » الشبكة الشبابية التي تبحث في قضايا تغير المناخ في نشاطها المناخي رغم تآكل الوضع بسبب جائحة كوفيد-١٩ والتي تعذّر خلالها تنظيم التظاهرات الضخمة المباشرة على الميدان. حيث تظاهر قرابة مائة ألف شخص في شوارع غلاسكو Glasgow، المملكة المتّحدة خلال مؤتمر الأمم المتّحدة المعني بتغير المناخ (COP٢٦) للمطالبة في نوفمبر ٢٠٢١ باتخاذ إجراءات أكثر صرامة لمكافحة أزمة المناخ. وفي منتصف سبتمبر ٢٠١٩ نجحت هذه الحملة في حشد أكثر من ٧,٦ مليون شاب على مستوى العالم مكتسبة بذلك زخما متزايدا حيث مثّل الرقم القياسي العالمي في عدد المشاركين في حملة الشوارع. يمكننا التقدير أن هذه الحملة تعدّ أنجح عمل جماعي عالميّ. قد نتساءل عن سرّ نجاح تلك الحملات ومفتاحها الأساسي. ومع ذلك، على الرغم من هذا النجاح العالمي والصدى الواسع، بدت المشاركة في مثل هذه الأنشطة البيئيّة في اليابان صغيرة وبنبض ضعيف مقارنة بتزايدها المفاجئ في أماكن أخرى من العالم. ولِساءل أن يسأل عن سبب شدّة محدودية هذه الحملات في اليابان من حيث عدد المشاركين الذين تمّ حشدهم، والمدن التي نُظمت فيها حملات الشوارع، وكذلك مدى التأثير على وسائل الإعلام وداخل الحكومة، على المستويين الوطني والمحلي؟ تسهم هذه المقالة في الاتيان ببعض الإجابات على هذه الأسئلة من منظور الحركات الاجتماعية وذلك بتركيزها على التأطير الثقافي، وتعبئة الموارد، وبنية الفرص السياسية.

> أيام الجمعة من أجل المستقبل: العمل الجماعي الأكثر نجاحا

انطلقت حركة أيام الجمعة من أجل المستقبل بوصفها حركة احتجاجية لنشطاء البيئة في ٢٠ أغسطس ٢٠١٨ حين أقدمت غريتا تونبرج (Greta Thunberg) ذات ١٥ ربيعا حينها، على الاحتجاج بنفسها أمام البرلمان السويدي. كان ذلك أوّل أيام الفصل الدراسي الجديد ومنتصف حملة الانتخابات العامة في السويد. تمثّلت خطتها الأصلية في مواصلة إضرابها لمدة ثلاثة أسابيع وحتى يوم الجمعة ٧ سبتمبر نهاية الحملة الانتخابية العامة. وعليه، انتشر «إضراب تغير المناخ» أو «الإضراب المدرسي» الذي أطلقته بمقاطعة فصولها الدراسية لمطالبة الحكومة بتعزيز التّدابير ضد تغير المناخ، بسرعة النار في الهشيم من خلال خدمات الشبكات الاجتماعية (SNS) وعبر التغطية الإعلامية في الخارج. قرّرت غريتا في أعقاب الاستجابة الكبيرة وغير المتوقعة لاحتجاجها، مواصلة الإضراب كل يوم جمعة بعد الانتخابات العامة حتى تتخذ الحكومة السويدية إجراءات أكثر صرامة للوفاء بوعودها بموجب اتفاقية باريس لعام ٢٠١٥. لقد كانت كلمتها على منصة TED (أوائل حروف تكنولوجيا، ترفيه <<

وتصميم بالإنجليزية) في نوفمبر ٢٠١٨، وخطابها في مؤتمر الأمم المتحدة لتغير المناخ (COP24) في ديسمبر من السنة ذاتها محلّ ثناء كبير ليعمّ إضراب تغير المناخ أنحاء العالم بشكل فوري ويتوسّع نطاقه في جميع أنحاء العالم فيما يسمّى بحملات يوم الجمعة من أجل المستقبل.

وبعد سبعة أشهر من احتجاج غريتا الأول ذات جمعة في الخامس عشر من شهر مارس ٢٠١٩، توسع نطاق الحملة وشاعت لتشمل أكثر من ١,٤ مليون شخص ذي الغالبية العظمى من الشباب، في شوارع أكثر من ٢٠٠٠ مدينة في ١٢٥ دولة حول العالم. وبعد ثلاثة عشر شهرًا من انطلاقها، يوم الجمعة ٢٠ سبتمبر ٢٠١٩، قبيل انطلاق قمة الأمم المتحدة للعمل المناخي في ٢٣ سبتمبر، عجّت الشوارع باحتجاجات أكثر من ٤ ملايين شخص في ١٦٣ دولة. واستمرت هذه الحملة البيئيّة على مدار ثمانية أيام حتى يوم الجمعة ٢٧ سبتمبر شارك فيها أكثر من ٧,٦ مليون مشارك في ١٨٥ دولة. تجدر الإشارة إلى انخراط العديد من الشباب في أغلب البلدان طواعية في مظاهرات الشوارع.

مثّل ذلك أوسع عمل جماعي في العالم حتّى تاريخه بشأن أي مسألة أو في أيّ مجال. فقبل انخراط غريتا تظاهر ما يناهز ٤٠٠ ألف شخص في أكبر مسيرة احتجاجية مناهضة للتغير المناخي في مدينة نيويورك قبيل انعقاد دورة الأمم المتحدة الاستثنائية المعنية بتغير المناخ في أيلول/سبتمبر ٢٠١٤.

حالت جائحة كوفيد ١٩ العالمية في ٢٠٢٠ دون تنظيم أنشطة في الشوارع حيث كان الحراك في الشارع محدودا للغاية. إلّا أنّه ويوم الجمعة من سبتمبر ٢٠٢٠ أُطلق اليوم العالمي لخطّة عمل مناخي. ورغم الجائحة تمّ العمل الجماعي في ٣٢٠٠ موقع حول العالم. فقد شارك في هذه الحراك البيئي العالمي في شوارع ألمانيا وحدها، ما مجموعه ٢٠٠,٠٠٠ متظاهر في ٤٥٠ موقعا.

لقد كان نبض الأنشطة البيئيّة في الشوارع في اليابان بطيئا حيث كان الحضور غير واف بل ضئيلا للحصول على التأييد مقارنة بتسارع نبض الشارع عالميا.

كانت الأنشطة في اليابان ضعيفة الحضور وبطيئة في الحصول على الدعم، مقارنة بالتّنامي الصاروخي في جميع أنحاء العالم. إذ اقتصرت احتجاجات ١٥ مارس ٢٠١٩ على ٢٠٠ مشارك فقط في اليابان وانحصرت في مدينتي طوكيو وكيوتو. وعلى النقيض فقد عجّت مظاهرة ٢٠ سبتمبر ٢٠١٩، المسمّاة «مسيرة المناخ العالمي» بأكثر من ٥٠٠٠ شخص في ٢٧ مدينة عبر ٢٣ محافظة. حيث شارك حوالي ٣٠٠٠ شخص في طوكيو. وسعيا إلى تيسير عملية انخراط الناس في هذا الحراك المناخي، في اليابان، تم استخدام مصطلح «مسيرة» الأكثر ليونة بدلاً من «الإضراب» أو «التحرّك».

تعتبر الخصائص التالية التي تحظى بها هذه الحركة مميّزة. (١) تتألّف هذه الحركة من عمل جماعي يشرك رئيسيًا جيل الشباب من طلاب المدارس الثانويّة وطلبة الجامعات. (٢) أغلب المشاركين ينزلون إلى الشوارع لأول مرّة فهم لم ينخرطوا أبدا في أي حركة اجتماعية ولم يشاركوا في أي مظاهرة من قبل. (٣) مثّل الإجراء الذي قام به الشباب بمقاطعة الفصول الدراسية والمشاركة في العمل في الشوارع والرامي إلى تعزيز التدابير ضد تغير المناخ نكرانا للذات في الأساس. (٤) ليست الحركة حدثا واحدا عابرا بل ظلّ مستمرّا كل أيام الجمعة ونُظّمت التحرّكات عدّة مرات حول العالم رغم جائحة كوفيد ١٩. (٥) انتشر الحراك في مختلف أنحاء العالم ليشمل البلدان النامية. (٦) استخدام خدمات الشبكات الاجتماعية كأداة للدعوة إلى المشاركة. (٧) وأخيرا فهو نشاط واحد فريد يعنى بقضيّة تتمحور حول تغير المناخ.

> التحليل من خلال التشكيل الثقافي وهياكل التعبئة وبنية الفرص السياسية

يستند إطار العمل الذي أعتمده لتحليل الحركات الاجتماعية، النموذج الثلاثي للحركة الاجتماعية (TRIM) إلى عمل ماك آدامز (McAdam-١٩٩٦)، ويتألّف من ثلاثة عناصر: التشكيل الثقافي، وهيكل التعبئة، وبنية الفرص السياسية (Hasegawa-٢٠١٨). يحدّد التأليف الثقافي الموقفَ المشتركَ الذي يتبنّاه جلّ المشاركين ألا وهو صورة العالم والصورة الذاتية للحركة، التي تبرر الحركة الاجتماعية والأنشطة التي تضطلع بها وتحفز المواطنين على الانخراط فيها. يعتبر التشكيل الثقافي عملية ديناميكية واستراتيجية تتوسط الاستياء والتوجه نحو التغيير. أمّا هيكل التعبئة فيركّز على الموارد التي يمكن حشدها وفي ظل أي ظروف. إذ تتسنّى تعبئة جميع أنواع الموارد مثال الموارد البشرية، والمالية، والمادية، والمعلوماتية، وكذلك الموارد الرمزية مثال الشرعية أو التبرير. وأخيرًا، تنطوي بنية الفرص السياسية على كل الظروف السياسية المؤسسية وغير المؤسسية بكاملها والتي تحدّد العمليات الاجتماعية لبروز الحركات الاجتماعية وتطورها وانتكاسها.

الواقع أنّ هذا إطار تحليلي يدمج منظور السلوك الجماعي، ونظريّة الحركات الاجتماعية الجديدة ومنظور تعبئة الموارد. وهو استجابة لمجالات «الحركة الاجتماعية والثقافة» و «الحركة الاجتماعية والتنظيم» و «الحركة الاجتماعية والسياسة» الثلاثة.

كان اسم «أيام الجمعة من أجل المستقبل» والأيقونة الرمزية غريتا تونبرج ذي فاعلية هائلة من حيث قدرتهما على إحداث أثر قوي. كان من الصعب على أهم الأطراف الفاعلة في الحركة التي تشكلت حول قضايا تغير المناخ أن تظل الرموز قوية مؤثّرة لسنوات طويلة رغم وجود أيقونات رمزية مديدة من قبيل أيقونة الدببة القطبية. تقتصر الشخصيات الرمزية على نائب الرئيس الأمريكي السابق آل جور (Al Gore)، الحائز على جائزة نوبل للسلام سنة ٢٠٠٧. إذ كان لا بُدَّ مِنْهُ بروز غريتا تونبرج في دائرة الضوء لإضفاء الطابع الشخصي على قضية تغير المناخ. حيث تمّت دعوتها إلى المنتدى الاقتصادي العالمي في يناير/جانفي ٢٠١٩ وإلى برلمان الاتحاد الأوروبي في فبراير و إلى قمة الأمم المتّحدة للعمل المناخي في سبتمبر من السنة نفسها. كانت نبرات صوتها ذلت انطباع عميق مرّة تلو الأخرى. وفي شهر ديسمبر من السنة ذاتها منحتها مجلّة تايم (*TIME*) على لقب شخصية العام.

«أيام الجمعة من أجل المستقبل» – يصادف أن يكون يوم الجمعة-- و هو يوم غريتا المستهدف لاحتجاجها. – وهذا لعمري تأطير جيّد أيضا. فعلى نحو حركة «هاشتاغ أنا أيض» (#MeToo) النسوية، تضفي المفردات والعبارات الموجودة في التسمية سهولة فهمها من لدن تلاميذ الابتدائي والبلدان الناطقة بالإنجليزية. وهي رسالة مباشرة وايجابيّة. وهي بنصّها رسالة موجهة نحو المستقبل. تحوي سوى ١٦ حرف لكنّها تمثّل دعوة إلى التحرّك أيّام الجمعة معبّرا عن شعور بأزمة تطال المستقبل. كما أنّه سهل استخدام المختصر اللغوي ومناسب للهاشتاغات كما في (#FFFSendai). و أُسْوَةً بِـ أيام الجمعة من أجل المستقبل كيوتو أو أيام الجمعة من أجل كوبي، يمكن إضافة لا فقط اسم البلد بل اسم مكان محلّي كذلك.

ولأنه من السهل تحديد موقعه، يسهل على الشباب التنظّم حوله في محلّياتهم. نشير إلى احتجاج أكثر من ٣٠ مجموعة منضوية إلى حركة «أيام الجمعة من أجل المستقبل» في اليابان وبشكل مستمر في كل منطقة. وعلى النقيض من تشكيلات سلبية و الممنوعة و الاتهامية مثال «مناهضة س» أو «مضاد ل س» أو «لا تفعل س» فمن غير المحتمل أن تسبب العبارات مقاومة أو تنافرا ويمكن لها أيضا أن تثير الاهتمام بالحركة و بدلالاتها.

أمّا فيما يتعلق بهيكل التعبئة نلحظ تراجع المنظمات البيئية غير الحكومية العريقة مثال مثل منظمة السلام الأخضر والصندوق العالمي للطبيعة (Greenpeace)، وأصدقاء الأرض (Friends of the Earth)، والصندوق العالمي للطبيعة (WWF) وارتدادها إلى الخلفية. صحيح أن أعضاء بعض المنظمات البيئية غير الحكومية القائمة وموظفي أمانتها المتفرغين بدوام كامل يضمّون جهودهم إلى تقديم الدعم، بشكل أو بآخر، إلّا أنها لا تعتمد في الأساس على بنية تنظيمية. فمواجهة الشباب لأزمة المناخ تحت اسم أيام الجمعة من أجل المستقبل لخير دليل على نجاح هذا التشكيل.

يستخدم الشباب خدمات الشبكات الاجتماعية للتواصل ولحشد الموارد الإعلامية. يؤكّد حساب غريتا (Greta) على شبكة (Twitter) البالغ ٥,٠٥ مليون متابع (حتى

نهاية يونيو ٢٠٢٢) على ذلك. كما تحتوي صفحتها على الفايسبوك أيضًا ٣,٥٥ مليون متابع حيث تتلقّى معظم مقالاتها على تطبيقة الفايسبوك وحده أكثر من ١٠٠٠٠ إعجاب، ومقالات أخرى أكثر من ١٠٠٠٠٠ إعجاب. يعتبر ادراك غريتا الجيد بالاتصال إن إحساس الجيد بالتوعية، وقدرتها على إثارة القضايا وتعزيز الوعي بها إضافة إلى موقفها المتماسك أمورا عظيمة و دروسا رائعة نستفيد منها عند التفكير في مسألة التعبئة.

لقد كان لتوقيت الفرصة السياسية سنة ٢٠١٩ دور محوري في الاستجابة الهائلة للتحرّكات التي أتتها غريتا. إذ مثل ٢٠١٩ السنة قبيل الشروع في تنفيذ اتفاق باريس سنة ٢٠٢٠ وحيث كان من السهل على وسائل الاعلام تغطيته. وللمرء أن يتأمّل إن كان هذا التحرّك قد حدث سنة ٢٠١٢ فستكون مثل تلك الاستجابة له موضع السؤال.

في مايو ٢٠١٩، أفادت صحيفة الجارديان (*The Guardian*) في المملكة المتحدة، وهي من أكثر الصحف اليومية في العالم المتحمّسة والتي تقوم بالإبلاغ عن قضية تغيّر المناخ، إن الاسم تغير المناخ لم يعكس بشكل كامل خطورة الواقع البيئي حينها. فبعد إعلانها عن تغيير في السياسة، بدأت الصحيفة في وصف الحالة البيئيّة أزمةً مناخ أو حالة طوارئ مناخية.

تبرز تحرّكات غريتا الاستمرارية. حيث وصل الإضراب المدرسي من أجل المناخ يوم الجمعة ١٧ يونيو ٢٠٢٢ في بيان ذلك أسبوعه الـ ٢٠٠. (٥٢ أسبوع في السنة)، فقد استمرّ الاضراب كل يوم جمعة لمدة أربع سنوات تقريبًا.

> اليابان: ما سرّ وراء محدوديّة الحملات وضآلتها

اتّسمت الحملات المتّصلة بأيام الجمعة من أجل المستقبل بشدّة المحدودية وتضييق الخناق حولها مقارنة بغيرها من الحملات في بلدان أخرى. ولماذا ظلّت جدّ محدودة من حيث عدد المشتركين الذين تمّ حشدهم؟

تشير إلى أن المجموعات الشبابية اليابانية تستخدم عبارات أيام الجمعة من أجل المستقبل في لغتها الإنجليزية دون ترجمتها. فهي عبارة مباشرة لكنها تستعصي على التعبير في اللغة اليابانية ومن الصعب جداً التعبير عنها بل ولا أحد توصّل إلى ايجاد عبارة نظيرة جيدة.

وعلى نحوٍ مماثل، لا وجود لأيقونة رمزية مثل غريتا ففي اليابان و بشكل عام، يبدو الشباب صامتا قليل الكلام أو متشائما ساخرا أو غير مبال بينما يبدو العديد من المشاركين في حملات الشوارع من الأجانب وطلاب المدارس الدّولية. وحتى فيما بين البلدان الآسيوية، و مقارنة بما يحدث في كوريا الجنوبية وتايوان وهونج كونج والفلبين وغيرها ظلّت إنجازات اليابان السياسية المتّصلة بالحركات الاجتماعية تتّسم بضعف التحقيق، إذ لا توجد أسس قويّة تدعم الحركات الاجتماعية في اليابان من حيث التمويل والموارد البشرية والأسس التنظيمية وانخراط الخبراء فيها. وهي تفتقر إلى التمكين لضعف التشكيل الثقافي وعجز تعبئة الموارد، واستفحال غياب الفرص السياسية للحركات الاجتماعية. ستتوسّع في نهاية المطاف رقعة الحشد وتبلغ ذروتها. ثمّة احتمال بتعرّضنا لانخفاض الإحساس بمستوى الفعالية السياسية يرفده شعور بالعجز. تحدونا فكرة تحرّكنا المتكرّر، بل قد لا نرى النور في الأفق وقد لا يجول شيء من أنشطتنا. ثمّة قضايا ذات الصلة بكيفية الحفاظ على طاقة الممارسات ونبضها تلك الطاقة التي تستمر في تكرار الشيء ذاته وتحرص على اتيانه كل مرة، وكيفية الحفاظ على ممارسة هذا التمرين حين تتلاشى نضارة المشاركين وتخمد التغطية الإعلامية.

أما فيما يتعلّق ببنية الفرص السياسية، لم تتوفّق المجموعات الشبابية بعد في إيجاد مسار سياسي يثبت فعاليته نحو الدفع لوضع سياسة خاصة بالمناخ في غياب برنامج سياسي محدد أو أجندة تلي احتجاجات الشوارع. تجادل كيف لحركة أسام الجمعة من أجل المستقبل أن تتنظّم في اتجاهات جديدة وما هي الخطوة المقبلة ومن هم حلفائهم السياسيون المستقبليون؟ يظلّ كلّ هذا مبهما غير واضح المعالم.

عجز الثوران الناجم عن الحراك عن تحقيق الانتصار وتأمين النجاح في أي من الانتخابات الوطنية. ويظلّ كسب قوة سياسية أكبر تحديًا بعسر على الناشطين مواجهته جرّاء محدودية خلفياتهم التنظيمية. ففي ضوء رد الفعل السياسي الذي تغذيه المركزية العرقية والشعبوية، فضلاً عن الضغط السياسي في وسائل الإعلام يقف المجتمع المدني الياباني والنشاط المدني بشأن قضايا تغير المناخ عند مفترق الطريق، يظلّ فيها اتجاهاتهم المستقبلية غير مؤكد. قد تكون هذه مشكلة شائعة ليس فقط في حملات أيام الجمعة من أجل المستقبل اليابانية بل تشمل حملات أخرى في الخارج. لكن وبشكل خاص في ظل الثقافة السياسية في اليابان، حيث من غير المرجح تنامي الانخراط السياسي بين عامة الجمهور ، يبدو من الصعب للغاية معالجة مسألة كيفية الحفاظ على الحركة وإحراز تقدم. ■

توجّه كل المراسلات إلى كويتشي هاسيغاوا على البريد الإلكتروني <k_hasegawa@shokei.ac.jp>

> كيف تؤثّر الحرب الروسية الأكرانية في السوسيولوجيا

بقلم: **ناتالي جارنيش**، جامعة إيفان فرانكو لفيف الوطنية، أوكرانيا

قمت في خطابي الذي ألقيته في المؤتمر الثالث للرابطة الأوكرانية لعلم الاجتماع بتحديد أربع مراحل في تطوّر الفكر السوسيولوجي في سياق العولمة[1]. تنطوي كل مرحلة من حيث الهيكلة، على سبع مكونات، والتي أعتقد أنّها تكتسي أهمية قصوى لفهم خصوصياتها وتحديد اتجاهات التنمية العامة. تتمثّل تلك العناصر في طبيعة علم الاجتماع عند فترة زمنية معيّنة، وخصائصه المميّزة، ومفاهيمه الأساسية، وموضوعاته المركزية، ووظائفه الرئيسية، وسمته البارزة إضافة إلى أساليب البحث التجريبي الأساسيّة.

> سوسيولوجيا العولمة

المرحلة ١: علم الاجتماع قبل العولمة (من بدايات علم الاجتماع حتى سنة ١٩٨٥)، حين ظهرت للمرّة الأولى الأعمال الاجتماعية في ذلك المجال. ثم اعتبر حينها علم الاجتماع علما يعنى بالمجتمع انطوت قُدْوتُه المجرّدة على مجتمع غربي في تضاعيف حدوده الإقليمية وحدود الدّولة الأمّة. نشير إلى أنّ عالم الاجتماع الألماني أولريتش بيك (Ulrich Beck) صاغ مصطلح سوسيولوجيا مستندا على هذا «الوعاء». وتعدّ هذه النقطة الزمنية المحدّدة فترة تشكيل المدوّنة الاجتماعية.

المرحلة ٢: (١٩٨٥-٢٠٠٢) علم اجتماع حقبة انتشار العمليات القويّة في مجال العولمة: وهكذا غدا علم الاجتماع علمًا للانسانية ومُعَوْلما وفقًا للنموذج الغربي في شكل الغَرْبنة وعلى نحو أكثر تحديدًا، في شكل الأمركة (بل أشدّ تحديدًا، وفقا لنموذج الماكدونالدية (McDonaldization). ولهذا السبب يعتبر ب. بيرجر (P. Berger) الأمريكيين المُعَوْلمين الرّئيسيين. تتواصل في هذه المرحلة عمليّة تشكيل النمط الاجتماعي.

المرحلة ٣ (٢٠٠٢ - ٢٠١٦): سوسيولوجيا الحقبة التي تسودها العَوْلمات المتعدّدة. (بروز التّشريق والعَوْلمات البديلة، إلخ...) أي حقبة تجري فيها عملية تشكيل السوسيولوجيا لتصبح علما للإنسانية ومُعَوْلما بطرق مختلفة يكتسب فيها المحلّي الحق في الوجود ويغتنم مُمثّلو المدارس القومية المختلفة فرصة المشاركة في الجدال السوسيولوجي جنبا إلى جنب مع «الشمال السوسيولوجي الغني» في استعارة لصياغة بارووای سنة ٢٠٠٨. وبناءً على ذلك، نلحظ توسعا سريعا لحيّز عدد الأعمال الاجتماعية خارج الأنموذج الاجتماعي.

المرحلة ٤ (٢٠١٦ - الآن): سوسيولوجيا ما بعد العولمة نظرا لتَدنٍّ مسارات العولمة وتعزيز قوى الطرد المركزي ذات الصلة بالهيكلة الإقليمية في العالم. (ملاحظة: أستخدم مصطلح «ما بعد العولمة» قياسا مع مصطلح د. بال D. Bell «ما بعد الصناعية» المتصلة بنوع من المجتمع الذي يحلّ محلّ المجتمع الصناعي (مع محافظته على قطاعات ما قبل الصناعية والقطاعات الصناعية.) ومن ثمّ، وانطلاقا من هذه الفترة أصبح علم الاجتماع وعلى نحو متزايد علمًا للإنسانية المجزأة المفكّكة مع تعدّدية التكوينات الإقليمية. تتأثّث مجموعة الأعمال ذات الطابع النمطي وغير النمطي من ميزات حوارية ومن عملية التكثيف من التداخُل المعرفيّ.

> أين يقف علم اجتماع العولمة راهنا

لا تعني المرحلة الرابعة اختفاء مسارات العولمة في حدّ ذاتها وتراجع علم اجتماع العولمة. إنّما تبرز حقائق اجتماعية وثقافية جديدة وتجري إعادة تشكيل أخرى للمعارف الاجتماعية يرفقها انخفاض نسبي في حصّة سيناريوهات العولمة. نسوق مثال انهيار الروابط والعلاقات الأمميّة في كثير من الحالات نتيجة ظهور جائحة كوفيد ١٩ إضافة إلى عودة ظهور الحدود، أو انخفاض في نطاق الكيانات والعمليات العابرة للحدود الوطنية وحصرها، وهو ما ينعكس جليّا في أعمال العدد المتنامي لعلماء الاجتماع.

تتبنى فترة ما بعد العولمة هذه هويّةً جديدة خلال الحرب الروسية الأوكرانية. حيث نشهد راهنا ولادة نوع جديد من النظام العالمي، والذي يمكن تصوّره على أنه تجسّد جديد للغرب (في شكل ما يمكن أن نسمّيه الآن بـ «الغرب الجماعي الموحّد») وبه القلب في أوكرانيا. وهذا يعني، في نظري، لا وجود لتضارب اليوم بين العالمي والمحلي ولا تحوّل من المحلي إلى العالمي. بل ثمّة نموّ المحلي في تعاريف العالمي، حيث يغدو المحلي جوهرا للعالمي. وبعبارة أخرى، ثمّة انبثاق لنوع جديد من التشكّل العالمي --المحلي، مع فوز القيم العالمية بالسيادة والمتضمّنة في النضال من أجل تلك القيم في العالم غير الغربي. وتنطبق هذه الحالة من هذا المنظور على أوكرانيا، إذ نشهد أوّلاً وقبل كلّ شيء بروز حركات اجتماعية عالمية جديدة تعرب عن تضامنها مع أوكرانيا. وتتميّز خصوصيتها في قوّة تأثيرها في الحكومات وتقصير الإطار الزمني لاتخاذ القرارات. وهكذا بدأت التحالفات الإقليمية الجديدة في تأديتها لدور خاص، نلحظُه أحيانا بين البلدان التي تنعدم بينها حدود مشتركة (أعني هنا ما يسمى «التحالفات الصغيرة» مثال بريطانيا العظمى وأوكرانيا وبولندا أو مثال الثلاثي المتّحد: أوكرانيا - مولدوفا - جورجيا).

تستدعي هذه العمليات قطعا تأمّلات ومناقشات اجتماعية أيضا، كما تقتضي حوارات بين ممثلي مختلف المدارس والحركات الوطنية. حيث تكتسب الحرب الروسية الأوكرانية بالفعل معنى اجتماعيًا على سبيل المثال. وأشير في هذا السياق إلى رسالة رئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتماع ساري حنفي (Sari Hanafi) التي يصف فيها نموذج بوتين الإمبراطوري ويؤكّد من خلالها على أربعة دروس من هذه الحرب في منطقة الشرق الأوسط. لا يسعني وبشكل عام إلّا أن أتفق مع العديد من أطروحات ساري حنفي في هذا النص، لكن وفي الوقت ذاته أعتقد أن فكرة مقارنة الحروب في الشرق الأوسط مباشرة بالحرب الدائرة رحاها في أوكرانيا مجانبة للصواب حيث تستعر الإبادة الجماعية للشعب الأوكراني. لا مندوحة في القول إنّ كلّ حرب مروعة، لكن عدوان روسيا على أوكرانيا يشكل تهديدًا ليس فقط على أوكرانيا نفسها

>>

"اليوم هناك نمو محلي في العالم ، حيث يصبح المحلي جوهر العالم"

بل يشكّل تهديدا للعديد من البلدان الأخرى في العالم إن لم نتحرّك معًا في تكاتف وتظافر لتدمير نظام قائم على النموذج الإمبراطوري.

> إلى أين يتّجه علم الاجتماع؟

يمكننا الآن تحديد اتّجاهات علم الاجتماع الراهن وفقًا لمضمون المراحل التي وضّحتها هاهنا. ويمكن أن تتضمن القائمة الأوّلية المفاهيم العشرة التالية:

(١) التوسيع الحثيث لنطاق حدود علم الاجتماع وموضوعه إضافة إلى الموضوع المخصص للدراسة البحثية نتيجة اكتساح المجالات النمطيّة ذات الاهتمام في الاختصاص يرفده الإدماج في مجال التّفكير /الانعكاسات الاجتماعي الظواهرَ المتعلقة بالواقع الاصطناعي (الواقع الافتراضي ، الواقع المعزز ، الذكاء الاصطناعي ، إلخ)

(٢) تطوير ورعاية الانعكاسية الاجتماعية متعددة الأبعاد ومتعددة الوظائف وذات الطبيعة الهجينة والتي ترقى إلى مستوى مهمة إنتاج مفاهيم ونماذج تتّصل بأنظمة التنظيم الذاتي المتطورة وذات الأبعاد العالمية أو الإقليمية أو المحلية من خلال مجموعة من الاحتمالات نحو تنفيذها في الممارسة الاجتماعية.

(٣) التحول من تعددية التخصصات إلى العبرمناهجية وظهور نوع مناسب من التنظير الوصفي قائم على التوفيقية متعدّدة التخصّصات والتفكير الشامل.

(٤) زيادة أهمية وضع مفاهيم لمشاريع التنمية الإقليمية و ادراك الأهمية التي تكتسيها قضايا التعايش بين العمليات والظواهر المحلية والمحلية -العالمية والعالمية وغير العالمية وما بعد العالمية ،

(٥) السعي إلى تطوير المصطلحات ينعكس في زيادة وضع عدد المصطلحات الهجينة النابعة من العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية وكذلك التكنولوجيا والإنسانيات، يرفدها توليف لمفاهيم علم الاجتماع ما بعد الكلاسيكي وما بعد غير الكلاسيكي ؛

(٦) تحول اهتمام علماء الاجتماع من التحولات المجتمعية الثابتة عموما إلى الاهتمام بالتحولات المجتمعية الديناميكية بالدرجة الأولى وحتى التحوّلات المجتمعية التفاعلية ،

(٧) الأهمية المتزايدة لدراسة التفاوتات الاجتماعية المعقدة (غير المادية بشكل رئيسي) مع إيلاء اهتمام خاص للأشكال الجديدة من التفاوتات المتجسدة في التوتر الاجتماعي وكذلك الأنواع الجديدة من النزاعات حول المصالح والقيم المتضاربة.

(٨) الأهمية المتنامية لوظائف علم الاجتماع الحديث النظرية والعرفانية في ظل ظروف فرط الحساسية (أو الديناميكية الفائقة) والتحولات الاجتماعية التفاعلية إضافة إلى الوظيفة الإنسية جرّاء تصاعد التجريد من الصفة الإنسانية الناجمة عن استمرار إدخال التّقنيات الجديدة ونشوء الحروب الهجينة.

(٩) تنويع الأساليب والتقنيات المستخدمة في علم الاجتماع من خلال اعتماد المنهجيات الكمية والنوعية التي تم توليفها وتعديلها حديثًا وكذلك انتهاج أساليب من تخصصات أخرى. إذ يسنح تأثيرها المزدوج لعلماء الاجتماع الحصول على نتائج اجتماعية سريعة وصحيحة،

(١٠) التحول من الأساليب اللفظية وغير اللفظية للمعرفة السوسيولوجية نحو استخدام التقنيات الرقمية ، إلخ... ■

توجّه كل ألمراسلات إلى ناتالي جارنيش على البريد الإلكتروني <nchernysh@gmail.com>

[1] ناتاليا تشيرنيش (أكتوبر ٢٠١٧) "علم الاجتماع اليوم - اتجاهات وآفاق التنمية" http://stmm.in.ua/archive/ukr/2017-4/4.pdf . (باللّغة الروسية).

> الصدمة الفردية والجماعية

بقلم: **يوري باشكوفسكي**، جامعة إيفان فرانكو لفيف الوطنية، أوكرانيا

المصدر: ناستياوفلاي

تمثل الحرب الروسية الأوكرانية الدّائرةُ رحاها تحديًا أمام العالم المتحضّر بأكمله. يمكن في سياق أوكرانيا اليوم ملاحظة انهيار كلّ مبادئ التعايش الدولي فيما بين الدول، وكيفية قيام مصير الإنسان على الارادية وعلى المطامح الإمبريالية لبلد ما، أو قائم في الواقع على الفرد الواحد على رأس الدّولة والذي يسعى إلى إملاء أيديولوجيته المقيتة والمبغضة للبشر على العالم بأسره. نشير إلى أثر أهوال الحرب وفظائعها التي يتلظّى بنارها كل مواطن أوكراني اليوم أيضًا في جميع مجالات المجتمع الدّولي تقريبًا، والذي يواجه بدوره تحديات أمنية عالمية لا سيما التهديدات النووية الرّوسية إلى جانب التحديات التي تفرضها موجات الهجرة الأخيرة، ومسألة الجوع العالمي، والطاقة، والأزمات البيئيّة. قد تبدو هذه المسائل غير ذي بالٍ وضئيلة إن قورنت بالمأساة وفي الواقع بالإبادة الجماعية التي يتعرّض لها جميع الأوكرانيين. لقد ألقت الحرب بظلالها على الأطفال إذ قتلت روسيا خلال ١١٥ يومًا الأولى من الحرب عددًا هائلا من الأطفال في أوكرانيا وفقًا للإحصاءات الرسمية. وتعدّ هذه الأرقام أعلى بكثير منها بعدد الأطفال الذين قتلوا في سوريا على مدى سنة ٢٠٢١ بأكملها أو في البوسنة خلال الفترة ١٩٩٢-١٩٩٥[١].

إنّ التأمّل في مشاكل الحرب وعواقبها بصفتي عالم اجتماع وعالم نفس أفكّر في عدد من المقارنات والمقاربات التي تتلاءم جيدًا مع مفهوم الصّدمة الاجتماعية ر. أيرمان (R. Eyerman) و ج.س. ألكساندر (JC Alexander)، ب.ستومكا (P. Sztompka) إلخ... ألا وهي الحرب بوصفها تحدٍّ عالميّ. الحرب التي تتغلغل في مصائر البشر. الحرب كوسيلة لخلق وبناء رؤية وقيم جديدة للوجود الإنساني، الحرب كمخاوف وتجربة الحياة، والحرب باعتبارها مساحة للنشاط البشري وقوة الروح. وكذلك الحرب كنضال من أجل مستقبل شخصي ومصير الأجيال والحرب كإبادة جماعية والحرب كمسار للتقوية والتضامن، إلخ. ويستمرّ كلّ هذا. ورغم ذلك، يبدو السبيل الوحيد الذي يدفع نحو توحيد كل هذه الارتباطات بالحرب هي حاجتنا، وإلى حدّ كبير، إلى طريقة نُذلّل بها الاحداث الفاجعة الرهيبة التي تؤثر في حياة كل شخص وكذلك على المجتمع بأسره. لكل شخص يتعرّض للحرب أو يتشكّل في بوتقتها قصة حياة انسان يرويها بنفسه ولنفسه وهي قصة شخصية بل وفريدة من نوعها. «تتشابك» قصص الحياة تلك في مسرى اندماج بعضها البعض أو ترتبط بالبلد الذي ولدنا فيه، وحيث نعيش ونعمل ونصنع تاريخه.

يشبه تاريخ أوكرانيا رحلة طائر جريح يكابد في تحليقه من أجل الصعود عاليا ناشدا العلوّ الشاهق إلى النور، خارج العتمة والغموض. تحمّلت أوكرانيا خلال مسار تقدّمها صدمات تاريخية فاجعة هائلة (تجدر الإشارة على سبيل المثال إلى المحن المواكبة لأحداث أوائل القرن العشرين، ونضال الأوكرانيين من أجل الاستقلال عن روسيا البلشفية وأحداث هولودومور في ثلاثينات القرن الماضي (قتل ستالين لملايين الأوكرانيين جوعا، مجاعة مدمِّرة تُعرف باسم «هولودومور» (مزيج من الكلمات الأوكرانية المرادفة لوباء الجوع أو الموت بالتجويع. المترجمة)، وهي واحدة من أسوأ الفصول مأساوية في التاريخ الأوكراني، عندما أصبحت أوكرانيا جزءًا من الاتحاد السوفيتي عام ١٩٢٢) وكذلك الحرب الألمانية السوفيتية المدمّرة سنة ١٩٤١-١٩٤٥ وحادثة تشيرنوبيل سنة ١٩٨٦ وراهنا الحرب الروسية الأوكرانية الدائرة رحاها منذ ٢٠١٤ والتي أدت إلى ضم روسيا لشبه جزيرة القرم وأجزاء من منطقتي دونيتسك و لوهانسك) بالإضافة إلى الصدمة الاجتماعية والثقافية أواخر القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة، والتي نشأت عن فترة طويلة من التحوّل الاجتماعي وانهيار نظام القيم القديم ترفقها نضالات من أجل الديمقراطية خلال الثورة البرتقالية سنة ٢٠٠٤ والنضال على المتاريس من أجل منظور أوروبي خلال ثورة الكرامة سنتي ٢٠١٣-٢٠١٤. لقد حُفر المسار التاريخي العريق للنضال والمعاناة وترسّخت في الذاكرة الاجتماعية للشعب الأوكراني حيث أدّت التجارب الانفعالية العميقة إلى صدمة نفسية ابتُليت بها الفئات الاجتماعية والأفراد على حدّ السواء. نشير إلى حاجة حوالي ١٥ مليون أوكراني وفقًا لوزارة الصحة الأوكرانية إلى الدعم النفسي لمواجهة ما يعانون من صدمات نفسية جرّاء احتدام الحرب الشاملة راهنا، وسيحتاج على النحو ذاته ثلاثة إلى أربعة ملايين أوكراني إلى رعاية طبية للاضطرابات العقلية والنفسية[٢]. كما سيعاني واحد على الأقل من كل خمسة أوكرانيين ٥/١ من عواقب صحية سلبية نتيجة للحرب في ظلّ تنامٍ عدد الأشخاص الذين يعانون من مشاكل الصحّة العقلية في كل يوم تستمر فيه الحرب.

نظرا لتجربة الشعب الأوكراني، أنتجت الحرب الحالية إدراكا حسيًا للواقع في تصور جديد. فعلى مستوى الأوكراني العادي نلحظ القطع مع جل الأساطير الموجودة مسبقًا والمنسوجة حول «الأخوّة الروسية الأوكرانية» - مع تحطّم كلّ المسارات المشتركة من خلال الحرب الوطنية العظمى وإعادة بناء الاقتصاد في سنوات ما بعد الحرب. وهكذا، غدا هذا الإدراك بالاختلاف واضحًا حتى عند أولئك الأوكرانيين الذين ما رغبوا يوما في النظر في فكرة تدمير الجذور السلافية المشتركة. يمكن تتبع مثل هذه الهوية بشكل خاص من خلال تصور الحرب، والتي تعتبر في نظرنا، نحن الأوكرانيين، حربًا من أجل حريتنا وكرامتنا ووجودنا (أما في نظرهم هُم الروس، فهذه ليست حربًا، بل ما يطلق عليه بعملية خاصة تتمثل في جعل قادتهم القتلة أبطالا وفي كراهية كل ما هو أوكراني). ففي اعتقادنا نحن الأوكرانيين، لا تعدو هذه الحرب أن تكون حدثًا مؤلمًا للغاية وأذى مروّعا، بينما هي مناسبة للنشوة العاطفية وانتصار للرمزين Z وV في الوعي الجماعي في نظرهم. تستدعي هذه الحياة الجديدة من

<<

جميع الأوكرانيين قدرا كبيرا من الجهد ونضالًا والتوحّد والتكاتف، مثل ما تستجوبه من العالم الديمقراطي برمّته ولا سيما جميع الأوروبيين دون استثناء أحد.

تمثّلت المأساة الاستثنائية التي خلّفتها الحرب في التحسّب لما هو غير متوقّعٍ. كنا نعيش تحت ظروف الوضع العسكري في شرق البلاد الذي ظلّ قائما منذ السنوات الثمانية السابقة، والفهم (الخاطئ) الذي «خيّم على « البلاد، وخيّم على كّل أوكرانيّ منا. مثّلَ ٢٤ فبراير ٢٠٢٢ بداية العدّ التنازلي لنسج قصّة جديدة لنا حين ساءلنا أنفسنا كلّنا نحن البالغون السؤال المصيري: «هل أريد العودة إلى الاتحاد السوفيتي؟» أو بدلاً من ذلك: «هل نريد أن نحيا في بلد متضمّن لاحترام حقوق الإنسان والحرية والديمقراطية؟» لم تكن بداية العد التنازلي الجديد في الواقع إلّا صدمة هائلة (وهي الحالة العاطفية المرتبطة بحدث صادم فاجع)، حين تم تحديد مصير البلاد في أوّل ٥-٧ أيام التي تلت الغزو الروسي الضّخم على طول ١٠٠٠ (ألف) كيلومتر من حدودنا المشتركة. طرحتُ حينها على الطلاب في قسم علم الاجتماع بجامعة إيفان فرانكو الوطنية في لفيف رسم (إعادة بناء) تصورهم للحرب على مدار الأشهر الثلاثة الماضية منذ بدايتها. اتّضح أن أقوى الانطباعات العاطفية التي تخللت حياتهم كانت مقترنة باليوم (الأيّام) الأولى:

تقول (فيرا ١٩ سنة) «بالنسبة لي، كان صباح بداية الحرب كما لو كنت فقدت عزيزا وخلتُ بأنني سأذهب لحضور جنازته. كان الرعب مخيّما على الجميع. كنت أخشى الخروج من البيت في الأيام القليلة الأولى، كنت مستلقيّة في السرير طوال الوقت أشاهد الأخبار. في اليوم الثالث من الحرب، خطوت خارج المنزل لأول مرة وخرجت مع صديقي لشراء الخبز. كانت طوابير الانتظار في المتاجر طويلة، وكانت الأرفف التي كان من المفترض أن ترصّف فيها البضائع الأساسية خالية تقريبًا. كنت أشعر بالضيق والتوتّر وخائفة».

«كانت الليلة الأولى عقب إعلان الحرب طويلة بالنسبة لي ، وكان أزيز كل سيارة تمر بجوار المنزل مثل مروحية أو صاروخ. ونتيجة الضغط المتواصل لم يكحّل النوم جفنيّ.» (دميترو، ٢١ عامًا).

كانت «الليلة الأولى الأسوأ تقريبًا. عانيت من الأرق تحت الضغط الهائل، كنت أشاهد الأخبار طوال الوقت، خيم الغموض على أفكاري وغابت عنّي الحيلة إذ لم أكن أعرف ماذا أفعل وكيف أتحرّك. انتابتني حالة من الذعر والهلع. حوالي الساعة الثالثة صباحا، حلقت ثلاث طائرات مقاتلة فوق المنزل. كان الصوت الذي كانت تثيره عاليًا وثقيلًا وظلّ طويلا حتّى أنّه بدا أثناء طيرانها، وكأنه دهر. اشتدّ هلعي منذ ذلك الحين وأحسست بالإرهاق في ظلّ ليالي الأرق القليلة وغياب التغذية العادية وبقلب وجل يحدوه الهلع. وحيث أنني لم أستطع الدراسة، أدركت حينها أنه وبهذا الشكل لن أتمكّن من مساعدة أي شخص. وبدأت في البحث عن المكان الذي أكون فيه أكثر فائدة» (أناستاسيا، ٢٠ عامًا)

تدمع العين في كل مرة أعتقد أنني بحاجة للانفصال عن شخص ما أو أنني قد أفقد شخصًا ما ... أعتقد أنه ليس مرعبا كما هو الحال في فيلم، قدرنا أن تشهد هذه المحن. أحب عائلتي وأقاربي كثيرًا رغم كل المشاكل والمشاجرات. أريد أن نكون جميعًا بصحة جيدة ونحيا معا. آمل أن تسير الأمور على ما يرام. فأنا أريد أن أحيا.» (كسينيا، ١٨ سنة).

«في الساعة ٧,٤٤ في لفيف، سمعت صوت صفّارات الإنذار للقصف الجوي لأول مرة. قفزت من على السرير وركضت إلى الردهة إلى الجيران. تجهّمت قسمات وجهي، كشّرت عن ابتسامة، ودبّت رعشة في جسدي ...» (مارثا، ١٨ عامًا)

يُعتقد أن التغلب على الإصابة يستغرق وقتا طويلا ما دام الشخص تحت تأثير الحدث المروع الذي أدى إلى تجربة انفعالية قويّة. قد تستغرق عملية «التّغلب» هذه شهورًا أو سنوات أو حتى عقودًا حسب قوة تأثير الحدث في الشخص ومدى مقاومته للتّوتر. أعتقد أنه، من وجهة نظر علم الاجتماع، أصبحت دراسة الصدمة الجماعية للحرب راهنا باعتبارها ضغطا عسكريا حادّا في سياق «صدمة الشاهد عليها» و «المعاناة الإنسانية» و «البحث عن معنى جديد للحياة» و «متلازمة القلق العسكريّة»، و «التغلب المشترك على الأحداث الفاجعة»، وما إلى ذلك في أوّانِهِ وأكثر تلاءما من أي وقت مضى. تصور الحالة الراهنة للمجتمع الأوكراني درجة عالية من التنظيم الذاتي. ويمكن أن يكون هذا المثال مصدر إلهام على نطاق أوسع للوقاية من التعرّض للصدمات الجماعية والتي يكون لعواقبها أهمية علاجية نفسية أعمق، وبالتحديد - أي - وللمفارقة- في تأثيرها البناء على المجتمع ككلّ. وبالنظر إلى أوكرانيا يعني التغلب على صدمة الحرب الجماعية ما يلي:

١) القطع النهائي مع الماضي السوفياتي وكل ذي الصلة بالانتهاكات الإمبراطورية الروسية و «العالم الروسي»،

٢) فرصة لاستعادة السلامة الإقليمية ورفدها بتوفير ضمانات أكبر لصون السلم والأمن الدوليين وتأجير الأراضي،

٣) إقامة مجتمع مدني وقبل كل شيء بناء قدرات الحركة التطوّعية التي توسع نطاقها وأصبحت واحدة من أهمّ الضرورات للنضال من أجل إقامة الدولة،

٤) فتح منظور أوروبي جديد لأوكرانيا كدولة مرشحة لعضوية الاتحاد الأوروبي،

٥) التقدم المبتكر باعتباره أفقا ما بعد الحرب لإعادة بناء البلاد بمشاركة الاستثمارات الغربية والبرامج الدولية الواسعة نحو دعم تلك المناطق التي تأثرت بشكل خاص بالأعمال العدوانية،

٦) دعم القيم الديمقراطية (المتحضرة) والتمسّك بحرمة هذه القيم في العالم الحديث،

٧) خلق نمط جديد من التضامن بين البلدان موحّد حول مفهوم مشترك للتهديدات العالمية التي تثيرها الحرب،

٨) إدراكًا لصمود الشعب الأوكراني في الدفاع عن استقلاله وإدراكًا أن أوكرانيا قد هزمت بالفعل المعتدي الروسي بمقاومته الملهمة.

لا سيستدعي تجاوز المواقف المؤلمة بالتأكيد العمل المنسق للمجتمع الأوكراني بأسره فحسب بل تشمل هذه العملية فهم المشكلات الشخصية لكل شخص اكتوى بلظى الحرب. أجادل في اعتقادي أنّ العامل الموحد القادر على الجمع بين الفرد والجماعة للتخلّص من هذا الموقف المؤلم يرتهن بالإيمان العميق بالنصر في نفس كل أوكراني.

لفيف، ٢٥ جوان ٢٠٢٢

توجّه كل المراسلات إلى يوري باشكوفسكي على البريد الإلكتروني <ypachkovskyy@gmail.com>

[١] (باللغة الأوكرانية) https://molodost.in.ua/news/7002 (١٩ يونيو ٢٠٢٢)

[٢] (باللغة الأوكرانية) https://poglyad.tv/u-moz-vvazhayut-shcho-cherez-viynu-kozhen-pyatiy-ukrainec-matime-problemi-z-psihikoyu-article (١٠ يونيو ٢٠٢٢).

> عندما تغيّر الحرب في أوكرانيا ما كنا نعتقد أننا نعرفه

بقلم: **داري كريستيا**، جامعة بوخارست، رومانيا

كنت قد كتبت في مناسبات أخرى عن الافتقار إلى المنهجية في علم اجتماع العلاقات الدولية والدراسات الأمنية وعن الارتباط الوثيق للغاية وربما المميت بالصحافة. فعلماء الاجتماع مهووسون بوظيفة تَنَبُّئِيّة: ربّما من أجل إثبات قدرتهم على الدخول في مدوّنة السببيّة، فهم يحاولون التكهّن بالأزمات والتوجّهات وبنتائج الانتخابات. وفي كل مرة يُتّهمون بمجانبة الصواب. إذ غابت عن علم الاجتماع قبل سنة ٢٠٢٠ فكرة تفشّي وباء محتمل. كما أسيء تفسير دلائل الحرب في أوكرانيا ولم تكن استطلاعات الرأي في كل دورة انتخابية تتميّز بدقّة نتائجها وموائمة لرغبات الصحافة والجمهور.

> سنتان حبلى بالمفاجئات

لقد كانت السنتان والنصف المنقضية مكتنفة بالمفاجئات. فبعد الأنفلونزا غير المسبوقة (جائحة كوفيد ١٩) حلّت مفاجئة مماثلة لما شهدناه في النصف الأوّل من القرن العشرين. نشير إلى هول المأساة التي جلبتها الحرب لأوكرانيا والتي جرى حولها الكثير من المناقشات. فصدمة الحرب في العالم الغربي، من صور اللاجئين إلى صور القصف والدبابات والمدن المدمّرة التي بدت حطاما لا تعدو أن تكون صدمة للمعرفة أيضا.

كما هو الحال في ممارسة فعليّة للاستعانة بمصادر خارجية ، كان في اعتقاد الناس على مدى ثلاثة عقود تقريبًا أن هذه القضايا تُتناول من خلال علم الاجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية والدراسات الاستراتيجية والأمنية والعلوم العسكرية والدّبلوماسية. رأى المجتمع الغربي نفسه وعلى نحو ما مبعدا و في منأى عن مثل هذه المخاوف: أعني ألا يوجد أشخاص قاموا بدراسة هذه المشكلات واتخذوا تدابير من أجل الحيلولة دون وقوع هذه الكارثة مرة أخرى؟ إذن ما هو الدرس بوصفنا علماء اجتماع ممّا يحدث في أوكرانيا؟

> وجهة نظر من رومانيا وأهمّية حلف شمال الأطلسي

لطالما كان الرومانيون منذ انضمام رومانيا إلى حلف الناتو وإلى الاتحاد الأوروبي من بين أكثر الشعوب تأييدًا لحلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي ومن بين أكثر الشعوب الموالية لأمريكا في الاتحاد الأوروبي، فقد أكّد اجتياح روسيا لأوكرانيا مدى تلك الموالاة. وفي الواقع، اتسم النقد العالمي الرئيسي الموجّه ضدّ حلف الناتو في السنوات الأخيرة في كونه يحتلّ بيئة أمنية مستقرة نسبيًا حيث لم تعد الدول تثير التهديدات بل برزت تلك التهديدات بالأحرى من خلال صراعات غير متساوقة مع جهات فاعلة من غير الدول (مثال مسألة الإرهاب) أو من خلال حالات منعزلة من الدول التي «تتنازع» مع النظام العالمي، ليصبح عملاقٌ مثل الناتو عديم الفائدة. لقد أعاد هجوم روسيا على أوكرانيا، على الرغم من غياب الاعتراف به رسميًا في روسيا كحرب، تأكيد أهمية حلف الناتو باعتباره ضامنا لأمن الدول الأعضاء وعرّض فكرة عدم الانحياز للخطر (تبصّر فنلندا والسويد).

> أحزاب ضدّ المنظومة

شهدت أوروبا في السنوات الأخيرة ظهور أحزاب معارضة للنظام ناجحة إلى حدّ ما، وذي الأبعاد الشعبوية في أغلبها أو السيادية أو الأحزاب الاوروبية المتشككة . لقد قدّمت جائحة كوفيد ١٩ والجهود التي تبذلها الدول الأوروبية لإبقائه تحت السيطرة منصّة لهذه الحركات المعادية في معظمها للقاحات وللقيود أو حتّى ناكرة لوجود الوباء. ففي رومانيا، خفّض الاجتياح الروسي لأوكرانيا من الجاذبية التي تتمتّع بها مثل تلك الحركات المناهضة للمنظومة وعزّز شعبية حلف الناتو والإتحاد الأوروبي.

ثمّة الكثير من التكهنات حول مدى تقارب الحركات المناهضة للمنظومة من روسيا، أو من موضوعات الدعاية الروسية - رغم أنّ هذا الأمر بالغ التعقيد ويصعب تأكيده. تبيّن لنا في الأشهر الثلاثة الماضية أن علاقة هذه الحركات بالحرب غير نمطية. من عدم معالجة قضية الحرب علانيّة، إلى الإشارة أنّ أوكرانيا ليست ديمقراطية جدًا (كما لو كانت هذه الإشارة ستغير حقيقة روسيا كمعتدي لا غبار عليه في هذه الحرب) ومن تقليص درجة التعاطف مع ضحايا الحرب إلى الاهتمام بالأقلية الرومانية في أوكرانيا وإلى التنسيب في تحديد هوية المعتدي. وعليه، تعدّ الحرب في أوكرانيا اختبارا حقيقيا حاسما للأحزاب المناهضة للمنظومة والتي لا يزال ضعفها تجاه روسيا بوتين غير مفهومة.

> الواقعية تأخذ بثأرها

شهد علم اجتماع العلاقات الدولية في نهاية التسعينات من القرن الماضي نموذجا معيّنا لنهاية التاريخ يتمثّل في نهاية الحروب الكبرى حتى الباردة منها وانتصار الليبيرالية على الواقعية وإطلاق العنان لها. وستنشب حروب منفصلة استثنائيّة تبيّنها القضايا المحليّة والإقليمية. إلاّ أن العالم غدا أحادي القطب تميّزه سلسلةٌ من القوى المتواضعة العاجزة عن تحدّي الولايات المتحدة الأمريكية، نموذج القوة العالمية العظمى المنفردة.

بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١، بدا الأمر وكأنّ السيناريو أعيدت كتابته ، ولكن فقط على ما يبدو. إذ ظهر خصم جديد (الإرهاب)، محور الشر تعهّدت به جهات فاعلة تابعة للدولة في تحدٍّ للنظام العالمي ونضالات مسلحة وغيرها، باتت أعمالا إجرامية بعيدة كل البعد عن معنى الحرب. وفقد النظام العالمي طابعه السّلمي (رغم مناهضته مرات عديدة للحروب المنفصلة) ذلك الطابع الذي قد تم تصوره عقب ١٩٩٠. فرغم بروز عدو غير متماثل وغير تقليدي إلّا أنّه ومن الناحية العسكرية لم يكن العالم يواجه خطرا كبيرا، ولم يكن الخوف من الحرب المعممة خوفًا عميقًا في الغرب كما ظلّت الولايات المتحدة الأمريكية/ الناتو القوة العظمى المركزية للنظام العالمي. وظلّ النظام ليبراليًا. ممّا يؤكّد إشارة الرئيس الأمريكي ج. بوش إن رومانيا ستصبح الجسر إلى روسيا الجديدة. وكان عامل القوة الناعمة وراء القوة العسكرية والاقتصادية للعالم الغربي حيث كان الغرب يتوسع في انتشاره لوجود دول مرشحة تطرق بابه.

"يمكن للطابع متعدد الأبعاد للعلوم الاجتماعية أن يثبت أنه جودة استثنائية إذا عرفنا كيفية استخدامه عندما يكون فهم العالم أكثر أهمية من التحقق من صحة فرضياتنا"

لكن الواقعية كانت على وشك أن تؤتي ثمارها. بعد سنة ٢٠١٠ لم يعد ممكنا تجاهل صعود الصين كقوة اقتصادية. ولم تبد لا روسيا ولا الصين في الوقت نفسه تقريبًا، استعدادهما «للموافقة» على النظام العالمي على مدى السنوات العشرين الماضية. و إن نحن ألقينا نظرة فاحصة على روسيا فسنلحظ غزوها لجورجيا سنة ٢٠٠٨. تتبيّن لنا بعض أهمّ المحاولات من قبل روسيا في أوائل العقد الثاني من الألفية الثالثة ترمي إلى وقف التحول الأوروبي الأطلسي المحتمل من جانب أوكرانيا ومولدوفا. كما لا يخفى علينا اندلاع التمرد في إقليم دونباس سنة ٢٠١٤ بدعم من روسيا، تلته عملية ضمّ الاتحاد الروسي لشبه جزيرة القرم. أمّا في الغرب غاب عن الشعوب احتمال نشوب حرب في أوروبا. ونتيجة لذلك مرت هذه الأحداث العارضة بسهولة نسبية. وتغيّرت الخارطة إذ لم تعد روسيا على حالها الذي دأبت عليه قبل سنة ٢٠١٠، فقد بدأ يُنظر إليها على أنها معتد محتمل، لكن ساد حينها الحفاظ على النظام العالمي.

في فبراير ٢٠٢٢، بدأت روسيا اجتياحاً لأوكرانيا وشنّت هجوما مفاجئا تجلّى كفعل عدواني استعصى فهمُه على عامة الناس. من الصعب أخلاقيًا استيعاب فكرة أن تَوجُّهَ أوكرانيا نحو الغرب يجعل روسيا عرضة لحلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي. لقد شهدت سنة ٢٠١٤ صدعا نهائيا بين روسيا وأوكرانيا. وبرز الموقف الروسي الشعبي الداعم للحرب أمرا محيّرا للعقل يعجز عن استيعابه. لكن من السهل على المتخصصين في المجال الإقرار بتبني نموذج واقعي ورفض الليبرالية التي يبدو أنها خرجت من النقاش في ما بين النماذج حول العلاقات الدولية مظفّرة بعد حوالى مئة سنة من المنافسة النظرية.

بالإضافة إلى ذلك، أكّدت الحرب بصواريخها ودباباتها وخوذاتها ومدافعها الآلية - كما تبدو في الأفلام الوثائقية والأفلام عن الحروب قبل ٥٠ سنة - أن الحرب لم تعد من الماضي بل واقعا راهنا وأن الأسلحة النووية التي نادرا ما تتناولها نظرية العلاقات الدولية منذ سنة ١٩٩٠ لم تختف أيضا. ولا تبدو حتى النظرية الكامنة وراء هذه الظاهرة أمرا جديدا. يبدو أن عقودًا من العلاقات الدولية والدراسات الأمنية قد أُهدرت، وكأننا نعود إلى منعطف الحرب الكورية وأزمة الصواريخ الكوبية.

وبإيجاز، نحن نتخبّط في شرك معضلة أمنية كلاسيكيّة متكاملة. لا يبدو حلف الناتو متورطًا بشكل مباشر في أوكرانيا، لكنه في حالة تأهب قصوى. وعند أية حدود ستتوقّف روسيا؟ فقد زادت حدّة الخوف من الحرب الذي بلغ المدى منذ ١٩٩٠ في أوروبّا الشرقية. إذ لا تختلف الحرب الحديثة عن سابقاتها. فهي ليست اقتصادية ولا تدور رحاها على شبكة الإنترنت و لا هي متحضّرة و لا توفّر الحماية للمدنيين. وحالة الحرب الحديثة كلاسيكية إلى حد كبير بل إنّها أكثر تدميرا.

لقد عاش السياسيون، والقوات المسلّحة، والمحلّلون، وعامة الناس في ظل اعتقاد وهمي مريح على مدى عقدين من الزمن. فلنتذكّر أنّ الأخبار المزيفة والدعاية الروسية كانت موضع مناقشات ولسنوات ولا سيما بعد سنة ٢٠١٤، إلّا أنّ جلّ من تناولها كان يستخدم مصطلح «الحرب الإلكترونية» للتعبير عن الغرض، كما لو أنها حلت محلّ الحرب الحقيقية. نتبيّن راهنا أن الأخبار الزائفة تقوم بما تفعله الدعاية دائمًا وهو اسهامها في تمهيد الأرضية لحرب حقيقية وتساعد الآن في إدارتها.

> فلنتذكّر أمر مولدوفيا

إذا اعتبرنا الحرب في أوكرانيا من منظور روماني فلا بدّ من الإشارة إلى مولدوفيا. لا تخفى حساسيات رومانيا فيما يتعلق بجمهورية مولدوفا وما يقابلها من روابط الهوية على أحد. فحين تمّ تدوير حجر النرد سنة ١٩٩٠ ظلّت مولدوفا مرة أخرى على الجانب الآخر من «الجدار» ، بينما حملت رومانيا مشروعا سياسيا واحدا متماسكا: ألا وهو التكامل الأوروبي الأطلسي. ويبدو أن المشروع أتى أُكله. تنطوي أحد المخاوف الحالية باحتمال امتداد الصراع في ترانسنيستريا وجمهورية مولدوفا (لكن لم يُكشف عنه حتى الآن). ربّما تعدّ مولدوفا أفضل مثال على دولة منشغلة بالتسلّل في الاعتقاد بأن الحياد قد يُفيد بعض الشيء. وهي لعمري محاولة للبراغماتية تتمثّل في سعي مولدوفيا و لمدة ثلاثين سنة إلى الحفاظ على علاقة وظيفية مع رومانيا /الاتحاد الأوروبي وعلى النحو ذاته مع روسيا.

و في جواز القول أعتقد، أن أولى الإلتزامات التي ينبغي على الباحثين التعهّد بها هو استبدال الادعاءات بالتنبؤ بالمستقبل و ذلك بالتركيز على السيناريوهات المحتملة والقدرة على إيجاد إجابات مناسبة لها. ليست هذه هي المرة الأولى في التاريخ التي لا يتطابق فيها الواقع مع النظرية. في النهاية يمكن أن يثبت العيب الرئيسي في العلوم الاجتماعية - طابعها النموذجي المتعدّد - أنه ذا جودة استثنائية إن نحن تضلّعنا في كيفية استخدامه عند إدراك أهمّية العالم أكثر من أهمية التحقق من صحة فرضياتنا. ■

توجّه كل لمراسلات إلى داري كريستيا على العنوان الإلكتروني <darie.cristea@sas.unibuc.ro>

> لماذا الحاجة إلى
بيانات تقاطعية مقارنة حول مجتمع الميم

بقلم: **سايت باركاردار**، كينكز كوليدج لندن، المملكة المتّحدة و**أندرو كينج**، جامعة سوراي، المملكة المتّحدة

فهم حدة التفاوتات ضروري لوضع سياسات تحسن حياة مجنمع الميم.
المصدر: سالت بايراكدار

على الرغم من تحقيق العديد من البلدان الأوروبية إنجازات هامّة على مدى العقود القليلة الماضية، تفيد الأبحاث أن حالات أوجه التفاوتات التي يعاني منها الأفراد من أو مجتمع الميم (الإل جي بي تي) المتحولين جنسيًا و المثليين والمثليات ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسية وغيرهم من الأفراد المتنوعين من الجنسانية والجندر (LGBT +) لا تزال قائمة. إذ يواجه العديد من الأشخاص هذا التمييز في طائفة من البيئات الاجتماعية وأماكن العمل والفضاءات العامة أو عند محاولة النفاذ إلى الخدمات العامة.

> القيود الحاليّة المتصلة بالبيانات حول أوجه عدم المساواة

يعد فهم حجم هذه التفاوتات أمرًا ضروريًا من أجل وضع سياسات مستنيرة لتحسين حياة المثليين والمثليات ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسانية. ومع ذلك، تظلّ وحتى وقت قريب، مصادر البيانات التي يفترض أن تسمح لواضعي السياسات بالحصول على مثل هذه المعرفة غير متاحة. نشير إلى افتقار العديد من الدّراسات الاستقصائية إلى عملية تجميع وبشكل روتيني للبيانات حول التوجّهات الجنسية للأفراد أو لهويتهم الجندرية. ولا تزال العديد من الاستطلاعات الرئيسية حتى هذه الساعة تفتقد إلى الأسئلة حول الهوية الجندرية.

لقد ضيّقت محدوديّة البيانات تلك من فرص القيام بمقارنات بين البلدان بشأن درجة التفاوتات التي يعاني منها مجتمع الميم. إذ ظلّت المحاولات الرامية إلى جمع بيانات الدراسات الاستقصائية إلى حد كبير منحصرة داخل الحدود الوطنية ولم تتجاوزها. وغالبًا ما اقتصرت جهود الباحثين في تجميع البيانات على بلدانهم تَلَتْها بحوث في التجارب وأوجه عدم المساواة ضمن السياقات التشريعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية الوطنية. لا مندوحة أن تلك البيانات التي تم جمعها في فرادى البلدان تشكّل أهمّية وذات قيّمة يستفاد منها. ومع ذلك، لا تساعد مثل هذه القرارات المنهجية التي غالبًا ما تكون مقيّدة جرّاء دواعي القلق العملية والمخاوف المحلية في توسيع ادراكنا لأوجه عدم المساواة المتعلّقة بمجتمع الميم حتّى يشمل سيناريوهات أوسع. فنلحظ أنّ الدراسات التي تستخدم بيانات تمّ تجميعها من دولة واحدة لا تتيح للباحثين فرصة دراسة كيفية تأثير المعلومات السياقية المتاحة على الصعيد الوطني في التفاوتات التي يشهدها مجتمع الميم. فبينما يمكن

>>

التخلّص من آثار بعض التدخلات السياسية باستخدام البيانات الطولية، يصعب التقاط العوامل السياقية المضمنة في العمليات المجتمعية طويلة الأجل. ينطبق هذا حتّى على دراسات أفرقة الخبراء/دراسات الفريق[1] الطويلة نسبيًا.

> لماذا ينبغي أن تكون البيانات مقارنة وتقاطعية؟

يتيح لنا اعتماد مقاربة مقارنة حيث دراسة أوجه عدم المساواة عبر البلدان أن ندرك كيف يمكن للعوامل السياقية تشكيل التفاوتات والمواقف التمييزية المتصلة بمجتمع الميم. ينبغي اعتبار هذا الاعتماد أمرا ذات أهمّيّة من منظور علم الاجتماع وصنع السياسات على حدّ سواء. مثير للاهتمام من الناحية السوسيولوجية لأنها تحول بوصلة التركيز من العوامل الفردية إلى العوامل السياقية كما تبرز الحواجز البنيويّة التي تحول دون إقامة المساواة. أمّا من منظور صنع السياسات، فإنه يشير إلى كيفية أداء بلد ما مقارنة بدول أخرى في محاولة تحقيق نتائج إيجابية، وبالتالي، يؤكّد على المَواطن التي تفشل فيها الحكومات والمنظمات الأخرى في تنفيذ سياسات فعالة ومبرزة في الآن ذاته مجالات نحتاج إلى التركيز عليها.

غير أنه ثمّة مسألة أخرى. ففي غياب تجميع الدراسات الاستقصائية لبيانات مفصلة عن الهويات الاجتماعية مثل الجنسانية والهوية الجندرية، فإنها تمنع الباحثين من القدرة على المقارنة لا فقط بين الدول ولكن أيضًا عبر الفروقات بين المجموعات أو من خلال اعتبار ما يطلق عليه غالبًا «العوامل المتداخلة» ألا وهي الاختلافات داخل مجتمع الميم و فيما بين الأشخاص المنضوين تحته عبر مجموعة من الخصائص مثل الطبقة والعرق والتدين والقدرات، إلخ... وبالتالي من المهم جدا فهم هذه الاختلافات التقاطعية وأخذها في الاعتبار من أجل خلق سياسات أكثر شمولاً تخدم جميع الأفراد من جماعات مجتمع الميم.

> دراسة مقارنة وتقاطعية واعدة

لقد طبّقنا نهجا مقارنا تقاطعيا في مشروع (مقارنة عدم المساواة عبر مشروع مسار حياة مواطني مجتمع الميم التقاطعية في أربع دول أوروبية) (CILIA-LGBTQI+) سعيا إلى اعتماد طريقة معالجة هذه المشاكل. تمثّلت مهمّتنا بداية انطلاق المشروع في إنجلترا وألمانيا والبرتغال واسكتلندا في مراجعة الدراسات السّابقة وفي وضع خرائط بيانية لتحديد الفجوات المعرفية المقارنة التقاطعية واستبانتها. وخلصنا إلى ضرورة الحاجة إلى توفّر مجموعة بيانات تمكننا من إجراء مقارنات عبر الوطنية وتقاطعية بينما لاحظنا شدّة محدودية المصادر المناسبة لأداء تلك المهمّة. كما تعدّ الدراسة التابعة للاتحاد الأوروبي بشأن الأشخاص المثليين/ات، ومزدوجي/ات التوجه الجنسي، ومتغيّري/ات الجندر والتي أجرتها وكالة الاتحاد الأوروبي للحقوق الأساسية مفيدةً جدًا في هذا الصدد. وهي دراسة تتألف من معلومات عرضها أفراد من مجتمع الميم في ٢٨ دولة أوروبية وتستعرض أحداثا حقيقية في حياتهم وتجارب خاضوها في مواجهة التمييز وكذلك خصائصهم الديموغرافية. لقد أتاح لنا تصميم هذه الدراسة المقارن وغوصها في المسائل التفصيلية حول التجارب والحوادث المتعلقة بمجتمع الميم فرصة منقطعة النظير للبحث في التقاطعات بين المجتمعات المتنوعة باستخدام نهج مقارن يُولي اهتماما كافيا بالسياق الوطني.

> بعض النتائج المقارنة والتقاطعية

سمح لنا تحليلنا لهذه البيانات بالبحث في احتمالية حدوث تجارب ذات الصلة بالتمييز والتحرّش وإتيان العنف في ألمانيا والبرتغال والمملكة المتحدة. إذ أبرز التحليل فروقا أشد تفاوتاً وأكثر إثارة للانتباه في الأفراد المنتمين للمثليين والمثليات ومزدوجي التوجه الجنسي والمتحولين جنسيا وثنائيي الجنس في الثلاث دول. نسوق مثالا على هذه الاختلافات بينما يبدو من المحتمل أن الأفراد المتحولين جنسيًا أكثر عرضة لتجربة حوادث التمييز والتحرش والعنف في البلدان الثلاثة، يؤكّد التحليل أن النساء المثليات هنّ أكثر منه عرضة للتمييز على أساس التوجه الجنسي والهوية الجنسية من الرجال المثليين. في حين يكون الرجال المثليون أكثر عرضة للعنف على أساس الهويّة الجنسية. وبشكل عام يبدو أن تجارب الأفراد المنتمين للمثليين والمثليات ومزدوجي التوجه الجنسي والمتحولين جنسيا وثنائيي الجنس متنوعة للغاية وهي مسألة تستحق مزيدًا من الاهتمام في عملية صنع السياسات.

فضلا عن ذلك، ثمّة فروقات مثيرة للاهتمام بين البلدان الثلاثة في حين أن الأفراد المتحولين جنسيًا هم المجموعة الأكثر احتمالاً للإبلاغ عن التمييز والمضايقة والعنف في المملكة المتحدة، فإن العنف ضدهم هو أيضًا الأكثر انتشارًا في هذا البلد. وأن يصبح الرجال المثليون ضحايا لأوجه العنف في المملكة المتحدة وهي مواقف تمييزيّة أقل منها في ألمانيا أو البرتغال. تحتل الخصائص الاجتماعية والديموغرافية الأخرى حيّزا مهمّا أيضًا وتساهم في تشكيل تجارب أفراد مجتمع الميم. على سبيل المثال، يشير التحليل إلى اسهام كون انتماء المرء إلى أقلية عرقية أو ذي إعاقة في زيادة احتمال التعرض للعنف في البلدان الثلاثة، بينما تبدو زيادة الموارد الاقتصادية (قياسا على دخل الأسرة) مساهمة في الحد من إمكانية التعرض للعنف في ألمانيا والمملكة المتحدة. لكن تغيب هذه الظاهرة في البرتغال.

> كيفية المضي قدما بالسياسة

تستحق هذه التباينات الدقيقة الاهتمام لأنها تستدعي ضمناً تأثير العوامل السياقية ضمن الدول وفيما بينها في التجارب التي يعيشها أفراد مجتمع الميم. وعليه، نحن في حاجة ملحّة لمزيد من البيانات حتّى نتمكّن من دراسة التفاوتات التي يتعرّض لها مجتمع الميم. مُقَارَنَةً بِغَيْرِهِ وبشكل تقاطعيّ. وأعني بذلك أنّ إدراك الطرق التي تتسم بدرجة عالية من الدقة والتي تشير إليها دراستنا أن التمييز والتحرّش والعنف تؤثّر في الأفراد المنضوين تحت مجتمع الميم هي خطوة الألف ميل من عملية صنع القرارات الاستباقية وليس مجرّد سياسات ردّة فعل. كما سيتيح هذا الادراك اتباع نهج إزاء المساواة، مقاربة تتجاوز التشريع في حدّ ذاته وذلك سعيا إلى فهم كيفيّة تشكيل التفاعلات بين العوامل البنيويّة والسياقية لحيوات مجتمع الميم. ■

توجّه كل المراسلات على البريد الإلكتروني إلى
سايت باركاردار <sait.bayrakdar@kcl.ac.uk>
و وأندرو كينج <Andrew.king@surrey.ac.uk>

[1] تتضمن دراسات الفريق جمع البيانات بمرور الوقت من عينة أساسية من المستجيبين. على عكس الأشكال الأخرى للدراسات الطولية، تسمح هذه الدراسات بدراسة تغير السلوك الفردي بمرور الوقت. (المترجمة)

> من يمتلك المعرفة؟

الاعتراف والتثمين والاجحاف المعرفي

بقلم: **يانا بايسفيك**، جامعة دورهام، المملكة المتّحدة

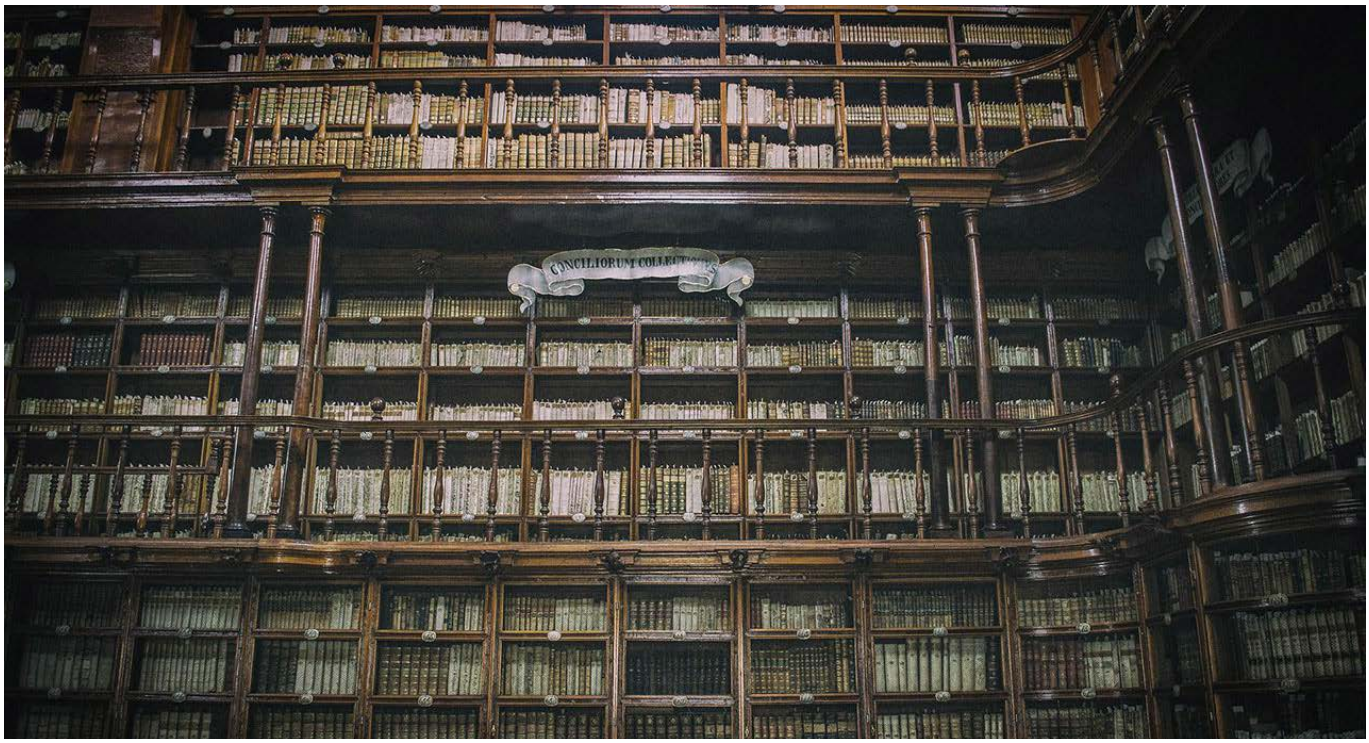

المصدر: بيكساباي

قد غدت المهن الأكاديمية من نواح كثيرة، أكثر تنوّعًا. إذ شهد تمثيل الإناث منذ سنة ١٩٩٠ غالبية طلبة الدراسات العليا على مستوى البكالوريوس والماجستير عالميًا. حيث تمثّل النّساء في الاتحاد الأوروبي ٥٤٪ من طلبة المرحلة الجامعية الأولى و٥٨ ٪ من طلبة الماجستير و٤٨ ٪ من الخريجين على مستوى الدكتوراه، لكن ظلّت نسبة النساء الأساتذة تشكّل حوالي ربع العدد فقط (٢٤٪) من مجموع أعضاء هيئة التدريس. إضافة إلى النّقص في نسبة العلماء من الأقليات العرقية الذين لا يحظون بالتمثيلية اللازمة في المهن الأكاديمية: يشغل العلماء السود وغيرهم من الأقليات العرقية على سبيل المثال في المملكة المتحدة ٧٣٪ فقط من المناصب الأكاديمية.

> العلاقة بين التعليم والمعرفة والعدالة الاجتماعية

غدت أوجه التفاوتات في السنوات الأخيرة أكثر وضوحا. يعزى ذلك جزئيًا إلى حملات الديكولونياليّة في المناهج الدراسية والإدراك المتزايد بالعلاقة بين التعليم والمعرفة والعدالة الاجتماعية. ورغم ذلك، تتّسم العلاقة بين التفاوتات الاجتماعية والمعرفية بالعمق. وعليه، نحن في حاجة إلى التفكير ليس فقط فيمن يزاول دراسته أو يقوم بعملية التدريس داخل فصولنا الدراسية بل النظر أيضًا في مصادرنا من المعارف، بما في ذلك القائمات المرجعية وقائمات القراءة: وأصوات من يتمّ تمثيلها؟ ومن ذا الذي تم تأطير معارفه على أنها معارف مهمّة وذات الصلة -- ولأي غرض؟

يعكس مفهوم الحيف المعرفي كيفيّة تشكيل التفاوتات الاجتماعية - على سبيل المثال، تلك المتعلقة بالجندر والانتماء الإثني / والعرقي – و هي تشكل من الذي يحقّ الاعتراف به بوصفه الموثوق بصحّة معارفه. نشير إلى صياغة ميراندا فريكر (Miranda Fricker)، لهذا المفهوم وإضفاءه الطابع الرسمي حيث تأثر بدوره بالفلاسفة وبخبيرات في نظرية المعرفة النَّسَويات وغيرهم من العلماء الباحثين في الأشكال المختلفة من «المصداقية المفرطة « أو «القصور» ألا وهي الاختلافات في كيفية تأثير أشكال التحيز القائم على الهويات في عمليّة تلقّي ادعاءات المعرفة وتفسيرها. على سبيل المثال، يرتبط من يُعتبر «شاهدًا موثوقًا به» في المحكمة بكيفية النظر إلى الطبقة التي ينتمي إليها والجندر والسنّ والمكانة والانتماء الإثني/العرقي – لكن غالبًا ما تسري هذه الاعتبارات على حساب الفئات المهمشة أو المحرومة تاريخيًا.

غير أنّ هذه التفاوتات لا توجد ولا تُتَداول فقط على مستوى اسهامات المعرفة الفردية بل هي تعدّ جزءا لا يتجزّأ من كيفيّة إنتاج المعرفة وقياس اكتسابها وتقييمها

>>

ومسار تبادلها. بعبارة أخرى، تشكّل كذلك جزءا من الاقتصاد السياسي العالمي لإنتاج المعرفة. يغدو السؤال من هذا المنطلق على نحوٍ مضاعَف وهو من ذا الذي يمكن الأخذ بسلطان معرفته واعتباره صاحب معرفة صحيحة؟ وكذلك من يمكن اعتبارهم لأيّ نوع من المعارف في حيازتهم؟. أشير في هذا السياق بوصفي عالمة اجتماع وباحثة في النظريات الاجتماعية إلى هذه المسألة على أنّها العلاقة بين الذوات المعرفية (الذين يعلمون) والموضوعات المعرفية (عما يعرفون).

> إعادة انتاج التفاوتات الاجتماعية في تضاعيف الأكاديميا

كنت قد وضعت في مقالي المعنون الإجحاف المعرفي والتموْضعات المعرفية: نحو اقتصاد سياسي تقاطعيّ (*Epistemic injustice and epistemic positioning: towards an intersectional political economy*)، مفهوم تحديد الموضع المعرفي لأبيّن كيفيّة تأثير التقديرات ذات الصلة بالعالمين العارفين في التقديرات حول الموضوعات المعرفية والعكس أيضاً صحيح. فمن بين الأمثلة الشهيرة على ذلك مثال حين ينظر إلى الادّعاءات المعرفية لدى المرأة باعتبارها «عاطفية» أو « تتكلّم عن تجربة»، بينما يتعامل مع الادعاءات المعرفية التي يعرضها الرجال أو الباحثون من الأغلبية بشكل مناقض حيث يصنّفونها في خانة «النظرية» أو «العامة». لكن ثمّة أشكال أكثر منهجية وخبيثة متخفية وأكثر مكرا من الاذلال والتسفيه، مثال دبلجة نظرية العرق النقدية أو أي نوع آخر من الاستقصاء المعرفي القائم على الهوية «دراسات التظلّم». أسمّي هذا الأمر «*الإحاطة*»، حيث يحيط بالادعاءات المعرفية ويقيدها في بوتقة التجربة الشخصية (أو «حالات الضيم») التي تعيشها الذّوات بدلا من اعتبارها اسهامات ذات قيمة متساوية في المعارف العلمية.

يتمثّل النوع الثاني من التموضع والذي أسميه النطاقات (*domaining*). يرتبط هذا التموضع ارتباطًا وثيقًا بالتموضع الأول في حالات تقييد الادعاءات المعرفية لأنواع محدّدة من العارفين في نطاقات أو اختصاصات قائمة على هويّة المتحدّث. ويتمثّل في عمليّة اختزال الادعاءات المعرفية في نطاق مقيّد والسعي إلى الحد منها في مجال الاختصاص أو في أي حقل مرتبط بالهوية مما يزيد من احتمالية حرمان المتحدثين من الاعتراف بهم/هنّ). فعلى سبيل المثال، غالبًا ما تساهم النساء في الجلسات الأكاديمية بمنظور «الجندر» أو «النّسوي» حول هذا الموضوع، بينما توجّه الدعوات للباحثين من أصول أفريقية ومن الأقليات للتحدّث بشأن «مسألة العرق». إن ما يجعل الأمر أكثر تعقيدا هو استخدام أشكال التموضع تلك بشكل استراتيجي من قبل الباحثين للإبحار في شبكات الرعاية الأكاديمية والاعتراف. غير أنهم يفرضون علاوة عن ذلك حدودًا مصطنعة على من يمكن اعتباره عارفا ومتملّكا لأيّ نوع من المعارف. وبعبارة أخرى، بينما يوضع الباحثون من الأقليات عادة في خانة الخبراء في عنصر من عناصر هويتهم أو تراثهم يكون الباب مفتوحا للباحثين البيض و «غير المحدّدين» أن يكونوا خبراء في أي حقل من الحقول ويلجون باب الانضمام إلى أيّ مجال بحث. وهذا يجعل رأس مالهم الأكاديمي قابلا للتحويل بشكل ملحوظ أكثر وأعني بذلك أنّك ستفوز بفرصة أكبر للحصول على وظيفة إن كنت قادرا على تدريس مواضيع عدّة، لكن ستستحيل عليك الفرصة إن كنت ملمّا بالخبرة في مجال واحد فقط. وعليه، تسهم مسألة «*النطاقات*» في إعادة إنتاج التفاوتات الاجتماعية داخل الأوساط الأكاديمية في اقترانها بمسألة «الإحاطة» أي الميل لاختزال ادعاءات المعرفة بهوية منتجيها،

> تأثيرات ماثيو

ومع ذلك، لا يُعدُّ النجاح في المهن الأكاديمية فقط نتيجة للاعتراف بالخبرة في السياقات المناسبة لكن غالبا ما يتعلّق الأمر بالاعتراف أو الفضل وتثمين الجهد والتقدير على الإطلاق. ففي أغلب الحالات تعاني الأكاديميات والأكاديميون من فئات الأقليات من التخبّط في شرك التموضع الثالث والذي أُطلق عليه وسمَ عدم الإسناد – حيث يتم استخدام أعمال هؤلاء وأبحاثهم دون الاستشهاد أو الاعتماد المناسبين ودون ذكر المصادر. ويتدهور هذا الأمر في بعض الأحيان حدّ الانزلاق إلى «الاستيلاء» الكامل على تلك الأعمال، حيث يستولي شخص آخر على ذلك الفضل - وغالبًا ما يكون *هذا الشخص* باحثا ذكرا وأبيض يحتلّ أعلى المراتب الأكاديمية وذو امتيازات. لدينا بالتأكيد اسم لهذا في علم الاجتماع ألا وهو تأثير ماثيو.

عادة ما ينسب «أثير ماثيو في العلوم» إلى روبرت ميرتون (Robert Merton) - والذي تعود تسميتُه نسبةً لفقرة في الإنجيل (ماثيو ٢٥:٢٩ - التي تصف القدرة المستمرة للفرد، والتي تُدعم فكرة أن شخصًا ذي قدرة طبيعية بسيطة لديه فرصة أفضل في تنمية هذه القدرة عن شخص آخر. «في لأن كل من له يعطى فيزداد ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه»). توضّح الفقرة النزعة إلى منح الفضل في الاكتشافات العلمية إلى العلماء المميّزين وأكثرهم شهرة في الفريق. نشير إلى صياغة مارغريت روسيتر (Margaret Rossiter) لمصطلح ذي الصلة سنة ١٩٩٣ وهو تأثير ماتيلدا[1] (*the Matilda effect*) وذلك لوضع تصوّر للميل بفوز الباحثين الرجال بالفضل والتنويه بدلاً من النساء. لكن قلة هم علماء الاجتماع العارفين بأن الحالة الأكثر شهرة لكل من تأثيرات ماتيلدا وماثيو تتمثّل على وجه التحديد في تأثير ماثيو.

نُشر المصطلح لأول مرّة تحت اسم مورتن في تأثير ماثيو في العلوم (The Matthew Effect in Science) في مجلة العلوم (Science)، ثمّ طوّره كلّ من مورتن و هاريات زوكرمان (Merton و Harriet Zuckerman)، اللذان قدما بحثهما عن الفائزين بجائزة نوبل المادة التجريبية الرئيسية للدراسة. حيث أقرّ ميرتون في الواقع صراحةً بذلك في الطبعتين الثانية والثالثة من ورقة (*The Matthew Effect*)، مشيرًا في واحدة من الهوامش إلى أنه «استند إلى المقابلة التي أجرتها هاريات زوكرمان وإلى مواد أخرى من دراستها لدرجة أنه بدا من الواضح أنه كان من الواجب أن تنشر الورقة تحت التأليف المشترك «وأن» الإحساس الكافي بالعدالة التوزيعية والتبادلية يتطلب من المرء أن يدرك، ولو متأخرًا، أن كتابة ورقة علمية وأكاديمية لا تعدّ أرضيّة كافية لتقدير الجهد نفسه وحده وتعيينه المؤلف الوحيد للورقة». ومع ذلك، فإن إقرار مورتن لم يغير من كيفية تذكر المفهوم حيث ظلّ معظم علماء الاجتماع حتى يومنا هذا ينسبون الفضل لميرتون في صياغة المصطلح.

> متطلبات العدالة المعرفية

يبيّن هذا أن التأكيدات المتأخرة عن التأليف لا يمكنها قلب الآثار طويلة المدى للإجحاف المعرفي. فكثيرا ما يُنظر إلى الاكاديميات والأكاديميين من الأقليات الذين ينشدون الاعتراف و تثمين جهودهم على أنهم مزعجين أو عدوانيين أو تافهين. تُيسّر تموضعات الإحاطة و النطاقات تبرير استبعاد أيّ شخص ما من قائمة المراجع – إن كان بحثهم يتعلق فقط بموضوع معيّن (الجامعات، على سبيل المثال، بدلاً من السلطة) أو إن كان قائما بشكل أساسي على التجربة (بدلاً من التنظير على سبيل المثال)، وعلى وجه الخصوص إن كان القصد تافها.

مع استمرار تنوع المهن وقائمات القراءة التي نتداولها، فنحن في أشدّ الحاجة إلى تركيز الانتباه إلى النزعة لا فقط إلى استبعاد بعض العلماء وتهميش أعمالهم ولكن الانتباه إلى نزعة التقليل من مكانتهم أو التشكيك في صحّة تلك الأعمال وإباءة قابلة تطبيقها. تتطلب العدالة المعرفية بقيام كل منا بعمله وفوزه بالفضل على ما يقدّم من أعمال. ■

توجّه كلّ المراسلات إلى يانا بايسفيك على البريد الإلكتروني <jana.bacevic@gmail.com>

[1] صاغت المؤرخة العلمية مارغريت روسيتر مصطلح «تأثير ماتيلدا» نسبةً إلى ماتيلدا غايج، حيث يعبّر هذا المصطلح عن الوضع الاجتماعي للنساء العالمات اللواتي لا يحصلن على الفضل الذي يستحققنه في أعمالهن العلمية مقارنة بدراسة موضوعية لجهدهنّ الفعلي. وقد وصفت المؤرخة مارغريت روسيتر هذا التحيز المنهجي ضد النساء «تأثير ماثيو ماتيلدا». المترجمة.

> الأجساد الربحية وحركيّات الرّعاية

في أوروبا الوسطى والشرقية

بقلم: **بتراء عز الدين**، جامعة تشارلز، براغ، جمهورية التشيك و **كريستين كراوس**، جامعة أمستردام، هولندا

مشاهد الرعاية العابرة للأوطان تتطلب أجسادا تعتني و أجسادا يعتمى بها

تغيّر مشاهد الرعاية في بلدان فيزيغراد Visegrad (جمهورية التشيك، وسلوفاكيا، وبولندا، والمجر) بسرعة حثيثة جراء سَوْقَنة نُظم الرعاية والهجرة إلى الخارج والتغيّرات في العلاقات الجندرية وكذلك تنامي الشيخوخة السكانية. حيث تؤدي هذه التطورات إلى تعقيدات جديدة وتنويع قطاع الرعاية المؤلّفة من جهات فاعلة مختلفة (بما في ذلك بعضٌ من قطاعات الاستشفاء والسياحة). بينما تؤثر في الآن ذاته على الدور الذي تضطلع به الأسرة والدولة. نشير إلى مواجهة تقديم الرعاية لتحدّيات مردّها الفجوات التي أولدتها هجرة النّساء إلى أسواق الرعاية في البلدان الأوروبية الأكثر ثراءً. وفي علاقة بهذا السياق، ورغم أن الأمر يتعلّق بعدد أقل بكثير من الأشخاص، تبرز حركة المسنين في الاتجاه المعاكس نحو البلدان قليلة تكاليف الرعاية بنحو الثلثين عن نظيرتها في البلدان المجاورة الأكثر تكلفة.

نتناول بالبحث في مشاريعنا البحثية الحالية مشروع «مشاهد الرعاية عبر الوطنية في أوروبا الوسطى: الخوصصة، والسوقنة، والحركيات المتداخلة» ومشروع «إعادة تحديد موقع الرعاية داخل أوروبا» ، هاتين الحركتين المترابطتين للرعاية التي تتمثّل في مسألة عمال الرعاية المهاجرين من بلدان وسط وشرق أوروبا في ألمانيا، إضافة إلى الظاهرة الصغيرة ولكنها رمزية ألا وهي تنقل المتقدمين في السن الألمان إلى مرافق الرّعاية في دول فيزيغراد. ويمكن أن يُفهم كلا الاتجاهين على أنهما شريكان في تحقيق الربح. تواطؤ يتجسّد في انتزاع العمالة من الأجساد «العاملة» (العمالة المهاجرة) و «الاستحقاقات» من أجساد كبار السنّ الضعفاء.

> إعادة الإنتاج الاجتماعي والمواطنة الاجتماعية والجسد

نشهد سهولة التغافل عن الجسد رغم مركزيّته في إعادة الإنتاج الاجتماعي وفي المواطنة الاجتماعية. ومع ذلك، يعدّ الجسد التقاطع الأساسي حيث تلتقي الديناميات المحتملة والمليئة بالتوتر على أصغر المقاييس. إذ يحتاج الجسد إلى الرعاية والعناية والاغتسال والإكساء والراحة حتى يتمكن جسد العامل من القيام بالجهد والعمل ويتعيّن على الكيانات الأخرى تقديم الخدمات.

تشير إلى أنّ مصطلح إعادة الإنتاج الاجتماعي مصطلح طوّرته النسويات الماركسيات لالتقاط جميع الأعمال غير المرئية الضّرورية لتجديد الحياة اليومية للمجتمعات وتداركها والحفاظ عليها واستدامتها، بما في ذلك العلاقات الاجتماعية والحفاظ على البيئات التي يعيش فيها النّاس. وفي معنى مُناظرٍ تدلّ المواطنة الاجتماعية على الاستحقاق في الحماية الاجتماعية وفي التعليم اللذين يجب أن يمكّنا الناس من أن يصبحوا ويظلوا مواطنين ذوي صحّة جيدة وتعليم جيد.

وعليه، ترتبط إعادة الإنتاج الاجتماعي والمواطنة الاجتماعية ارتباطًا وثيقًا. إذ يشارك كلاهما في إعادة إنتاج الأنظمة الأوسع والبنى التحتية الضروريّة حتى تكون «حياة « المجتمع و» أداؤه» ممكنًا، بما في ذلك أعمال الرعاية. وتنشأ حينها مشكلة إعادة الإنتاج الاجتماعي في حالة العلاقة بين هذين التغيّرين مثلما يحدث في عملية تنقل كبار السّن للحصول على الرعاية، والتي يمكن اعتبارها انتقال المواطنة الاجتماعية. نستخدم هنا كلا المصطلحين إعادة الإنتاج الاجتماعي ومصطلح المواطنة الاجتماعية كأدوات تحليلية في سعينا إلى فهم مشاهد حركيات الرّعاية في أوروبا.[1]

> مشاهد حركيّات الرّعاية في أوروبا الوسطى والشرقية

ترتبط مسألة الاستعانة بمصادر خارجية لتقديم الرعاية إلى أوروبا الوسطى والشرقية (CEE) وظهور البنى التحتية الخاصّة المعنيّة بالرعاية، بهجرة العمالة بطرق مختلفة من خلال كلّ من التنقلات الماضية منها والحالية. فعلى سبيل المثال أصبح عمّال الرعاية المهاجرون البولنديون الذين عملوا في ألمانيا حاليّا من بين مؤسسي دور الرعاية الخاصة في بولندا، ويجري السعي وراءهم أيضًا لتوظيفهم بفعل خبرتهم المهنيّة ومهاراتهم اللغوية. لقد تمّ تطوير وكالات التوظيف التي تعرض تقديم خدمات الوساطة للعائلات وتقوم بعمليّات الربط بينها وبين دور الرعاية في المنطقة. علاوة على ذلك، غالبا ما يكون كبار السن في دور الرعاية الخاصة في بلدان فيزيغراد آباءً وأمهاتٍ لأبناء هاجروا للعمل في بلد آخر، وبالتالي فهم يكسبون ما يكفي لتغطية المصاريف ودفع تكاليف رعاية والديهم في الوطن ببلدان فيزيغراد. وفي حالات أخرى، يكون كبار السن هم أنفسهم من المهاجرين العائدين الذين

>>

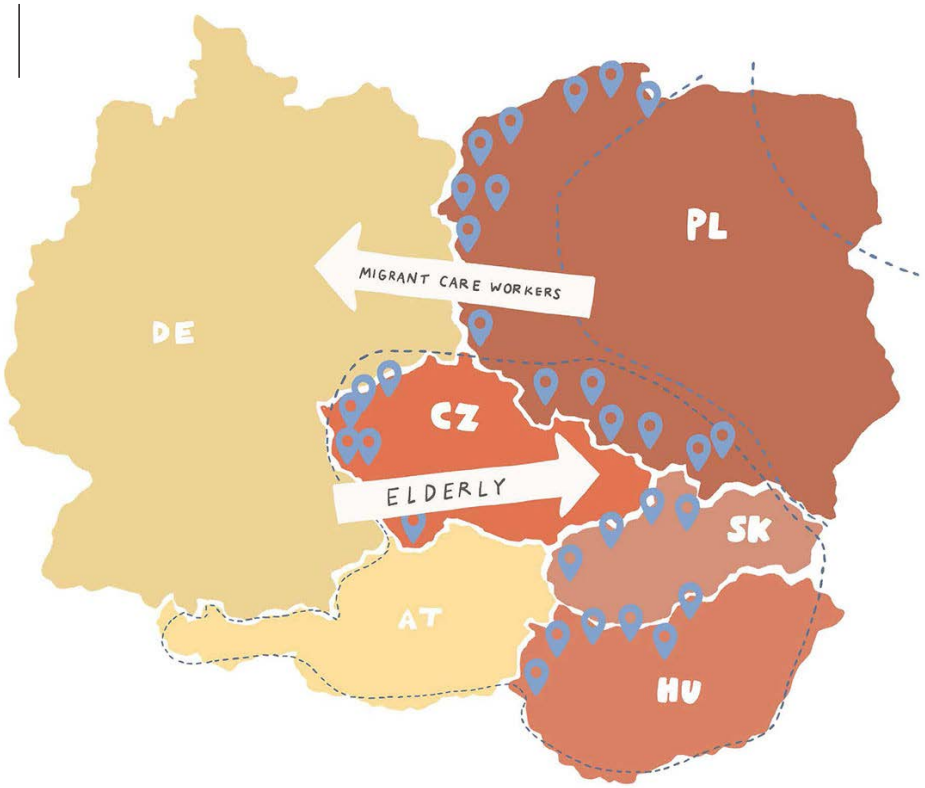

اعادة نقل طرق الرعاية في اوروبا
المصدر: ReloCare

اكتسبوا وبعد قضاء مشوارهم المهني في النمسا أو ألمانيا، الحق في التأمين من هذه البلدان مما يمكّنهم من تحمل تغطية تكاليف الرعاية الخاصة. تضيف هذه الحالات تعقيدًا إلى مسألة المواطنة الاجتماعية في دول الرعاية الأوروبية.

يبدو أن بروز مرافق الرعاية الخاصة في بلدان فيزيغراد يرتبط ارتباطًا مباشرًا بهجرة مقدّمي الرعاية التي أولدتها الهجرة إلى الخارج على النحو المبيّن في مثال سقناه في بحثنا. ففي دار للرعاية تقع على بعد كيلومترين فقط من ألمانيا داخل جمهورية التشيك يتمّ تقديم رعاية للمسنين الألمان والتشيكيين سويًا. ومع ذلك، لا يتم توفير الرعاية لهم من قبل مقدّمي الرعاية التشيكيين جرّاء ترك هؤلاء للسوق التشيكية بغية الحصول على عمل أفضل أجرا في مجال الرعاية في ألمانيا. نشير إلى أنّ هذه الوظائف بدورها يشغلها عمال الرعاية المهاجرون من أوكرانيا ومولدوفا.

حالة أخرى لحركيات الرعاية المتداخلة تتّضح في حالة روبيرتو Roberto الذي أصيب بجلطة دماغية ولم يعد قادراً على العيش بمفرده والاعتماد على نفسه. لم يجد أبناؤه العاجزين عن تحمل تكاليف دار الرعاية في ألمانيا حلًا غير نقله إلى دار للرعاية في بولندا التي كانت قد أعلنت عن توفير خدماتها لكبار السن من ألمانيا. ومع ذلك، لم يكن روبرتو أصلاً من ألمانيا إذ كان قد قدم من إيطاليا كـ «عامل زائر» شاب، واستمرّ في العمل في ألمانيا وأسس عائلة وتقدّم في السنّ.

واجه أبناؤه كما العديد من العائلات الألمانية الأخرى، مشكلة ما العمل في نظام رعاية قائم على تأمين رعاية إلزامي يحتاج إلى تعويض النقص و››تعزيز التأمين‹‹ من خلال المعاشات التقاعدية وصناديق الأسرة. حاول روبرتو في دار الرعاية البولندية استخدام معرفته الأولية باللغة الألمانية وكانت باولا السيّدة البولندية المسنة التي نشأت في منطقة ألمانية سابقًا في جنوب غرب بولندا وتتحدث كلتا اللغتين تترجم له أحيانًا. يجسد هذان الشخصان المسنان معًا في مؤسسة رعاية خاصة في بولندا مثالاً على تعقيد إعادة الإنتاج الاجتماعي والمواطنة في أوروبا اليوم. ويبدو أنّه وإلى جانب حركات الهجرة الحالية تظلّ ظاهرة التغييرات الحدودية وحالات النزوح التاريخية بعد الحرب العالمية الثانية تضطلع بدورها.

> الخاتمة

تحقق مشاهد الرعاية عبر الوطنية في أوروبا الوسطى والشرقية مستويات أرباح من كلا الجسدين الأجساد المقدّمة للرعاية والأجساد التي تحظى بها. نلحظ إذن تعقيد إعادة الإنتاج الاجتماعي عبر الحدود المحلّية في المنطقة التي تنعكس من خلال ظاهرتين متداخلتين ألا وهي (١) اكتساب الصبغة عبر الوطنية للرعاية بفعل هجرة النساء مقدّمي الرعاية إلى الخارج مما أفضى إلى حدوث ››فجوة الرعاية‹‹ في بلدانهم الأصلية. (٢) الظاهرة العكسية الأصغر بكثير من حيث النطاق والحجم، في مجال تعهيد الرعاية التي يتم من خلالها نقل كبار السن إلى أماكن تمثّل فيها تكاليف الرعاية حوالي ثلث تلك التكاليف القائمة في البلدان الأصلية. وعليه، تمثّل كلتا الظاهرتين تحدٍّ أمام كيفية وضع تصوّرنا للحقوق وإعادة الإنتاج الاجتماعي من حيث المواطنة الاجتماعية الأوروبية ونظم الرعاية. نجادل هنا ابراز حركيات الرعاية هذه مدى انخراط الجسد والمهمل رغم ذلك في ظلّ أزمة إعادة الإنتاج الاجتماعي والمواطنة الاجتماعية في أوروبا وجغرافيات الرعاية غير المتكافئة. ■

توجّه كل المراسلات على البريد الإلكتروني إلى
بتراء عز الدين <Petra.Ezzeddine@fhs.cuni.cz>
وكريستين كراوس على البريد الإلكتروني <k.krause@uva.nl>

[1] نعني بمصطلح «حركية الرعاية» الرحلات المرتبطة بالرعاية والتي يتم القيام بها بغرض تقديم وتلقّي الرعاية والدعم غير الرسميين وتلقيهما. رحلات ذات الصلة بالمهام المتعلقة بالمنزل اللازمة لإعادة إنتاج الحياة وابرازها وتقييمها. وهو مفهوم جديد في النقل الحضري يقر بالحاجة إلى تحديد السفر اليومي المرتبط بأعمال الرعاية وتقييمه وإبرازه على نحو صحيح. (المترجمة)

> العمالة المنزلية بالوساطة:

السوق السريلانكية السعودية[1]

بقلم: **واسانا هاندابانغودا**، جامعة يوهانس كيبلر في لينز، النمسا

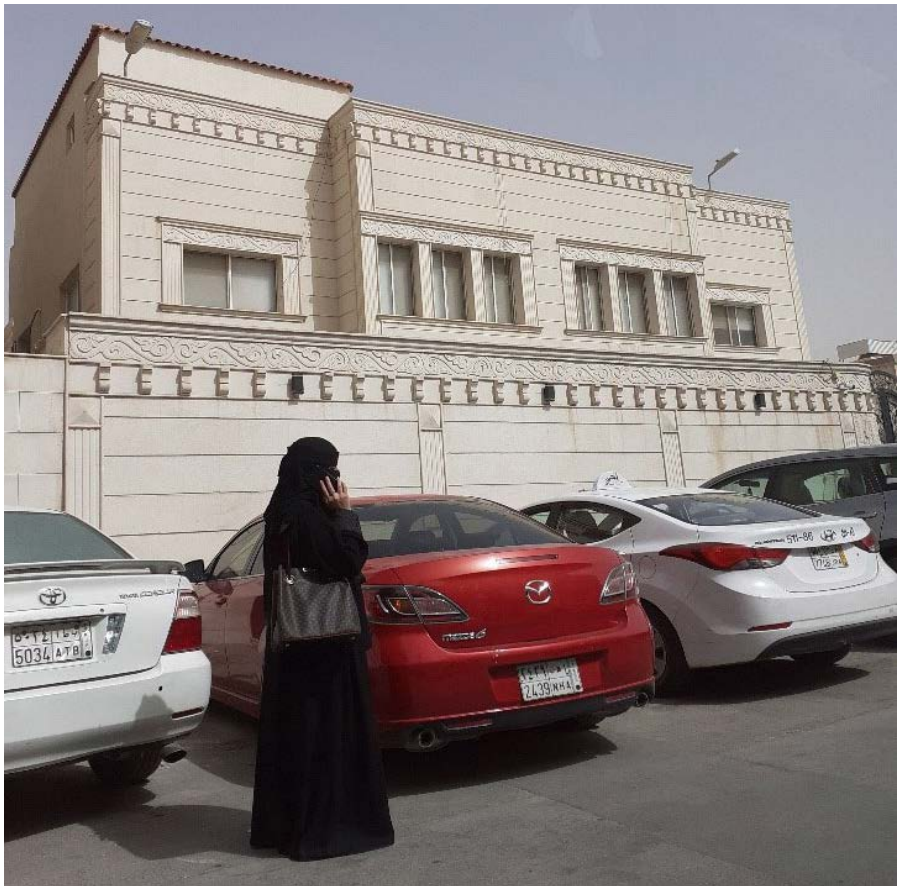

ربة عمل سعودية.
المصدر: واسانا هاندابانغودا

أبت السريلانكيات منذ أوائل ثمانينيات القرن الماضي على الهجرة بأعداد كبيرة كعاملات منزليات بتوافدها على الخليج العربي الغني بالنفط. يعزى مثل هذا التدفّق للعمالة إلى الخارج إلى الإصلاحات التي شهدها التحرير الاقتصادي في سريلانكا سنة ١٩٧٧ وإلى الطفرة النفطيّة العربية سنة ١٩٧٣، والتي أتاحت الفرصة لسوق وافرة سخيّة من العمالة المنزلية مدفوعة الأجر في سياق العولمة. وغدت العمالة المنزلية المهاجرة حاليًا أحد صادرات سريلانكا الرئيسية من حيث مساهمتها في إنعاش الإيرادات من العملة الأجنبية. وظلّت المملكة العربية السعودية تحتلّ حيّزا قيّما من بين مستوردي العمالة المحلية الخليجية، حيث أقامت سريلانكا والمملكة العربية السعودية صفقة تبادل بين المشتري والبائع. تبادل مُجدٍ وطويل الأمد في سوق الرعاية العالمية يمكن بموجبه تعريف سريلانكا وسيطَ عمالة عبر وطنية يتاجر في العمالة المنزلية ويتقاضى عمولة على التداولات تتمثّل في تحويلات العمال.

وفي خضمّ عملية الوساطة في مجال الرعاية، يقوم سماسرة الهجرة من القطاع الخاص (PMBs) بدور محوريّ في الوساطة حيث تحاول معظم السيريلانكيات التماس مساعدة أولئك السماسرة في الحصول على عمل منزلي مدفوع الأجر في منطقة الخليج.

تورد هذه المقالة ملخصًا حول وساطة سماسرة الهجرة من القطاع الخاص في الرعاية المنزلية في سوق الرعاية السريلانكية السعودية بوصفه أحد مقوّمات الاقتصاد السياسي العالمي في مجال الرعاية. تعتمد الورقة على عمل ميداني أُجرِيَ في سريلانكا والمملكة العربية السعودية خلال سنتي ٢٠١٩ و٢٠٢٠ على التوالي.

> عملية الوساطة في العمالة المنزلية المهاجرة

تشمل عملية تعبئة عاملات الرعاية المنزلية في ممر الهجرة بين سريلانكا والسعودية مكاتبَ سماسرة الهجرة من القطاع الخاص في الرعاية المنزلية القائمة في كلّ من سريلانكا والمملكة العربية السعودية الذين يوفّرون التّرابط عبر الوطني الأساسي بين العاملات المنزليات السريلانكيات المهاجرات والوافدات على العربية السعودية ((SLMDWوأرباب العمل السعوديين في مجال الايصال المُسَوقَن لعمّال الرعاية المنزلية المهاجرين.

ينظّم سماسرة الهجرة من القطاع الخاص بصفتهم وكالات ووكلاء التوظيف والاستقدام في القطاع الخاصّ المتعهدين من جانب حكومتي البلدين. (وكلاء محلّيين- و -م) في سيريلانكا و (وكلاء أجانب--ف أ) في السعودية عمليّة توافد العاملات المنزليات المهاجرات (MDWs) وتيسّرها بطرق عديدة مختلفة. حيث تبدأ عملية التنقّل ’«بطلب شغل»‘ من طرف صاحب العمل السعودي لعاملات منزليات

>>

سريلانكيات مهاجرات (SLMDWs) مُدْرَجات لدى وكيل أجنبي. بعد ذلك، يحصل الوكيل الأجنبي على الأمر الإلزامي المُصَادَق عَلَيْهِ من البعثة السريلانكية في المملكة العربية السعودية. يُرسل الأمر المتّفق عليه إلى الوكيل المحلّي الذي يتسلّمه من هناك ثمّ يقوم بعد الحصول على تسجيل الطلبات من قبل مكتب التوظيف الأجنبي في سريلانكا (SLBFE) بالاتّصال والعثور على عاملات منزليات مهاجرات راغبات في الهجرة و بفحصهم، واختيار من يستوفي المعايير، مثال الراتب، والعمر، والخبرة، وإتقان اللّغة (العربية) والدّين (مسلمة / غير مسلمة). وخلال عملية البحث عن عمّال منزليين مهاجرين توّاقين، أثبتت الخدمة المنقّدة والمحققة للإيرادات التي يقدمها الوكلاء الفرعيون على مستوى القرية في سريلانكا فعاليتها كحلقة وصل بين عاملات المنازل في المدينة والعاملات الطموحات في القرية، وربطهن عبر الفضاء الجغرافي والاجتماعي.

يتمّ حينها ارسال طلبات المرشحين المختارين إلى الوكيل الأجنبي حيث يقوم من خلالها صاحب العمل باختيار العامل المنزلي المهاجر الذي يناسب معايير صاحب/ صاحبة العمل بشكل أفضل. يواصل الوكيل المحلّي بناءً على تأكيد صاحب العمل عملية التعبئة من خلال مساعدة العاملات في الحصول على موافقة المكتب الإلزامي للعمال المنزليين المهاجرين (SLBFE) بالإضافة إلى الوثائق اللازمة بما في ذلك جواز السفر والتأشيرة والشهادات الطبية وشهادات التدريب من برامج من لدن مكتب بسيريلانكا للعمالة الأجنبية[٢] (SLBFE) وعقد العمل لمدة عامين. يتحمل الوكيل أيضًا أجرة السفر الخاصة بالعاملات المنزليات والعمولة الشخصية، مع استرداد جميع تكاليف التوظيف من رسوم الوكالة. وأخيرًا، وبعد وصول العاملة إلى المملكة العربية السعودية، يستقبلها الوكيل الأجنبي في المطار ويعهد بها إلى صاحب العمل. وعلى مدى مدّة العقد، يُتوقع من كل الوكيل المحلّي والوكيل الأجنبي تقديم العاملات المنزليات المهاجرات بخدمات المتابعة الضرورية مثال التدخل في حالة تعرضها لسوء المعاملة من قبل صاحب العمل.

من المثير للاهتمام أن هذا التسوية المُخَصْخَصة للعمالة المنزلية المأجورة باهظة الثّمن. إذ تشمل رسوم الوكالة المحلية التي تبلغ حوالي ٣٥٠٠ دولار أمريكي لكل عاملة منزلية مهاجرة (SLMDW) يتحملها الوكيل المحليّ الذي يستردها بدوره من رسوم الوكالة التي يدفعها صاحب العمل والتي تناهز ما قيمته ٥٥٠٠ إلى ٦٥٠٠ دولار أمريكي. وعليه، قد تختلف رسوم الوكالة بناء على مثل هذه العوامل المعيّنة مثال سنّ العاملة، والخبرة، والدين، والكفاءة اللغوية، والاسناد، التي تحدد بدورها «السعر» في سوق الرعاية.

> سماسرة/وسطاء الهجرة الخواص: ميسّرون أم معرضون للخطر؟

ترتهن تجربة العاملات المنزليات المهاجرات السيريلانكيات ومخرجات الهجرة بشكل ملحوظ بمكاتب العمالة المهاجرة الخاصّة المحليّة منها والأجنبية على حد سواء التي تقدّم للعاملات المهاجرات مصدرا استراتيجيًا بوصفها أدوات تمكين لرحلاتهنّ إلى الخارج. ومع ذلك، تلعب مكاتب الهجرة الخاصّة دورا في إضفاء التهميش على العمالة المنزلية المهاجرة إن لم يكن دورا يهدّد وضعيتهنّ وظروف عملهنّ المحفوفة بالخطر بالنظر إلى الغالبية العظمى من العاملات المنزلية المهاجرات السيريلانكيات التي تنحدر معظمهنّ من أصول محليّة هشّة وتعاني بالفعل من العوز الشديد. وغالبًا ما يتحمّل السماسرة المسؤوليّة عن خلق الظروف الهيكلية التي تهدد حياة العاملات المنزليات المهاجرات في دوائر التنقل، من حيث رسوم الوكالة الباهظة الثمن أساسا، إضافة إلى المعلومات المضلّلة، وانعدام خدمات المتابعة. ممّا يؤدّي إلى اتساع نطاق التعدّيات. من بين تلك التهديدات تبرز الرسوم ذات الصلة برسوم الوكالة التي غالبًا ما تُعتبر مبالغ فيها ومُغالى فيها حيث تقترن وبشكل صريح بإثقال كاهل العاملات بأعباء الديون وبخلق أوضاع من العمالة من أجل رد الدين /عمالة بعقود طويلة الأجل/ عمالة بالسخرة ووضع الاسترقاق. بالنظر إلى أن رسوم الوكالة باهظة الثمن يتحمل وزرها صاحب العمل فهي تحثّ لعاملات المنازل المهاجرات على إقامة علاقة تعاقد مع أصحاب العمل وما ينتج عن ذلك من ظروف عمل رديئة وضارّة في المنازل السعودية. تعدّ مكاتب العمالة المنزلية المهاجرة «شرًا لا بد منه» في سوق العمالة الوافدة المهاجرة في مجال الرعاية عبر الوطنيّة السيريلانكية السعودية. وهي مفتاح الأمل لتحقيق مسارات هجرتهنّ وتوقهنّ للحراك الاجتماعي والاقتصادي. على النحو ذاته، تكون تلك المكاتب، بالنسبة للدول الواقعة في طرفي سلسلة الرعاية، بمثابة عوامل استقرار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. وعموما، يبدو أن مكاتب الهجرة الخاصّة PMBs تميز ظاهرة ملازمة على الدوام في ممر الهجرة بين سريلانكا والسعودية.

> خاتمة

تجسّد ظاهرة الوساطة في مجال الرعاية المنزلية السّريلانكية -السعودية حالة مثلى لاختراق السوق الرأسمالية لإعادة الإنتاج الاجتماعي والتجاوزات التي تحدثها نتيجة لذلك. فعلى قاعدة العولمة النيو ليبرالية، مثلت مكاتب الهجرة الخاصّة وبشكل متزايد العمالة المنزلية وعلى العاملات المنزليات من النساء كسلعة مرغوبة، وفي أسوأ الظروف، تجد العاملات المنزليات الوافدات أنفسهن في أوضاع من السخرة في ظروف تقترب من العبودية مما أسهم في إطلاق خطابات متضاربة حول الإمكانات الاقتصادية والهشاشة المفرطة. وفي هذا السياق، تشكّك مسألة العمالة المنزلية للمهاجرين بالوساطة في مدى ملاءمة تدخّل السبل الفعّالة في عالم إعادة الانتاج؛ لكنه يظهر في الآن ذاته إمكانية الصلة بين المعيد انتاجه والإنتاجي في اقتصاد الرعاية. ■

توجّه كل المراسلات إلى واسانا هاندابانغودا على البريد الإلكتروني
<wasana.handapangoda@jku.at>

[١] تستند هذه الورقة مستفيدة من المشروع (*Ideal Migrant Subjects: Domestic Service in Globalization*) الذي يموّله الصندوق النمساوي للنهوض بالعلوم، في فيينا، النمسا. (Austrian Science Fund-FWF) ومشروع M 2724-G, Lise-Meitner-Grant المدّة ٢٠١٩/١١—٢٠٢٢/١٠. مقدّمة الطلب: واسانا هاندابانغودا (Dr. Wasana Handapangoda) و موجّه الطلب الشريك: الأستاذة الدكتورة بريدجيت اولينباخر (Prof. Dr. Brigitte Aulenbacher) جامعة يوهانس كبلر لينز، معهد علم الاجتماع، قسم نظرية المجتمع والتحليلات الاجتماعية

[٢] مكتب سريلانكا للعمالة الأجنبية مؤسسة عامة أُنشئت سنة ١٩٨٥ بموجب قانون صادر عن برلمان سريلانكا. ويسمّى مكتب التوظيف الأجنبي بسيريلانكا (SLBFE). يتولّى تقديم برامج تدريبية يستفيد منها المهاجرون/ المهاجرات المسجلون/لات قبل مغادرتهم البلاد، كما جرى إنشاء ثمانية مكاتب إقليمية رائدة لخدمات ومعلومات الهجرة. (المترجمة).